الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

ديوان "غرداية" لعثمان لوصيف

دراسة في جماليات المكان

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي في اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

من إعداد الطالبة:
سمية بلعور

إشراف الأستاذ الدكتور:
أ.د. عاشور سرقمة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
1	د. محمد الزاوي	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	رئيسا
2	أ.د. عاشور سرقمة	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
3	د. صليحة كرامي	أستاذ محاضر ب	جامعة غرداية	ممتحنا

السنة الجامعية:1446/1445هـ - 2025/2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى نفسي التي عزمت وواصلت المشوار ونجحت . . .

إلى الوالدين الكريمين أبي وأمي

إلى أخواتي وإخواني.

إلى صديقاتي . . .

إلى زملائي في العمل والحياة أينما كانوا.

إلى الأستاذ المشرف الذي نوّر دربي بالعلم والمعرفة.

إلى جميع أساتذتي الكرام.

وفي الأخير لكم مني جميعا كل المحبة والتقدير والشكر والعرفان.

– سمية –

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من لا يشكر الله لا يشكر الناس ومن أسدى لكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له "

الحمد لله أولا وآخرا على فضله ومنّه الذي وفقنا لإتمام هذا العمل. ليس ثمة أجمل من كلمة شكر تنبع من القلب وتحمل اعترافا بالجميل، كلمة شكر تعبر لأستاذي " الأستاذ الدكتور عاشور سرقمة " الذي أشرف على هذه المذكرة ورافقني في كل لحظات رحلة بحثي ولم يبخل عليّ بإرشاده ونصائحه القيمة، فلك مني أستاذي الفاضل جزيل الشكر والتقدير والعرفان.

كما أتقدم بالشكر للدكتور " محمد زاوي " الذي لم يبخل علينا بإرشاداته وتوجيهاته ونصائحه القيمة طيلة طريق المشوار الدراسي وإنجاز هذا العمل.

وأيضاً أشكر الأستاذ والشاعر نور الدين مبخوتي من تلمسان على مساعدته القيمة.

وإلى كل من مد يد المساعدة لي من قريب أو بعيد.

كما لا يفوتني أن أشكر كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة غرداية.

– سمية –

الملخص:

شغل المكان في الشعر الجزائري المعاصر حيزا واسعا من الاهتمام، فكان المحرك الأساسي والعنصر الملهم للشعراء، وتهدف هذه الدراسة إلى استقصاء تمثلات المدينة في الشعر الجزائري من خلال نموذج ديوان غرداية لعثمان لوصيف فأصبح المكان في الشعر الحديث مكونا بنيويا يُسهم في تشكيل المعنى، ولم يعد مجرد خلفية جامدة للأحداث أو الانفعالات، بل تحول إلى عنصر تعبيري يعكس مواقف الشاعر.

جاء اختيار مدينة غرداية نظرا لما تتميز به من رمزية خاصة ضمن السياق الجزائري، إذْ تُشكِّل ملتقى للهوية والتراث وفضاء مشبعا بالروحانية والتقاليد، ما جعلها مادة خصبة للتخيل الشعري. وكشفت الدراسة عن قدرة الشاعر عثمان لوصيف على توظيف غرداية كشخصية شعرية فاعلة، تحمل دلالات الأنثى، والصفاء، والانتماء، وكيف يتحول المكان في بعض التجارب الشعرية إلى مرآة للذات، ومجال للتأمل، خاصة حين يرتبط بالبعد الصوفي. وهذا ما منح المدينة بعدا جماليا.

الكلمات المفتاحية: ديوان غرداية – عثمان لوصيف – دراسة – جماليات المكان.

Abstract:

Occupying space in contemporary Algerian poetry occupies a prominent situation and produces great interest. It is the main and short track for the poet's, awarness, and from this entrance cultural movement in Algerian poetry are inspected through a selected illustrative, namely the poet "Othman Loucif" in his troupe “Ghardaia place contributes to the formation of meaning”.

The study does not stop at presenting fastened and remoted data but shifts on the way to change the place into an Suggestive poetic section With Denotation back. The poet indicates his identity through it representing memory, the self and spritual devotion, with all the linked feelings of isolation and yearing.

The study revealed the poet’s capacity to employ place in a poetic imaginative way, surround many implication like forgetting , dropping and eviction. Place transforms for Some young poets into a space for reflection and examine the present. Especially when it is linked to phonetic dimension, it presents the poem additional richness.

Keywords : Ghardaia Collection. Othman Loucif. Study. Place Dynamic

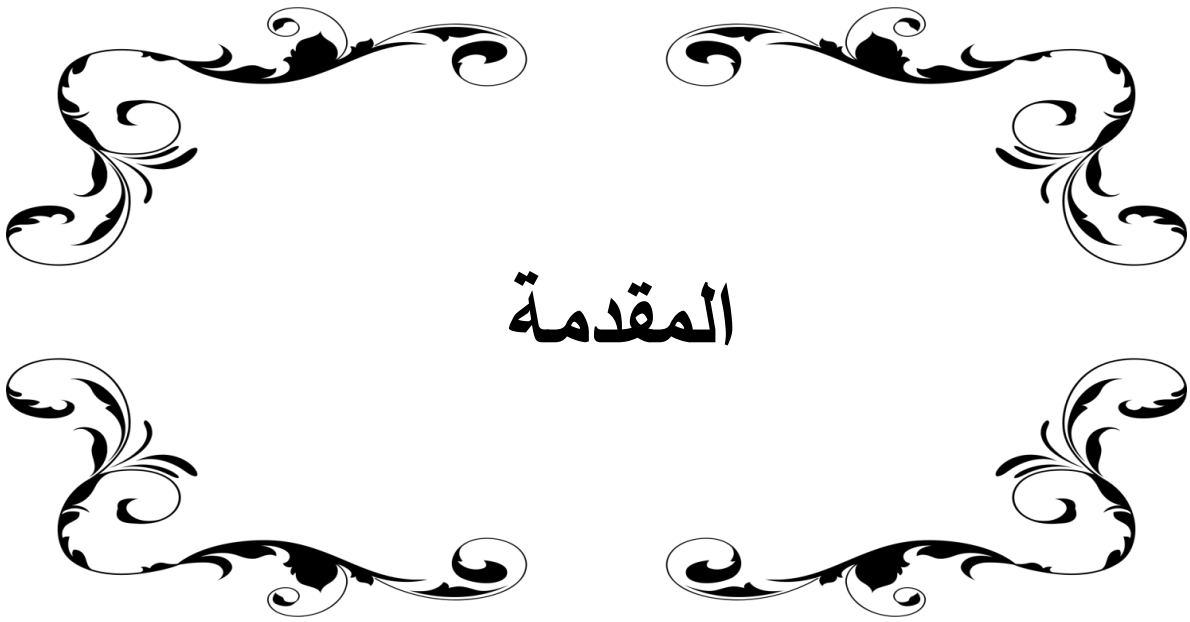

المقدمة

المقدمة:

المكان من الظواهر الأدبية الأكثر ترديدا في الدراسات الأدبية الحديثة بشقيها الشعري والروائي بل والمسرحي؛ على اعتبار أن المكان مكون أساسي في بنية هذه الأجناس الأدبية، وقد اتسعت دائرة هذا المحور باطراد لافت؛ وبات يحظى بمقاربات من زوايا نظر متعددة. لقد تسلل المكان إلى البنية الشعرية الجزائرية كما هو الحال عند الشاعر عثمان لوصيف الذي احتفل بالأمكنة والمدن الجزائرية بكثافة كبيرة، فكان رائدا في هذا المجال، ومدونته الشعرية شاهد على خياره الشعري هذا. ومن المفارقات العجيبة في ظل اشتغاله الحثيث أنه خص فضاء غرداية دون غيرها من مدن الجزائر بقصيدة مطولة أصدرها في ديوان كامل، ولعل هذا وحده قد يكون أحد البواعث التي جعلتنا نقارب عوالم هذا المنجز الشعري المتفرد الذي لمسنا فيه ثراء دلاليا وجماليا متناسقا؛ منطلقين في بحثنا هذا منهجيا من الإشكالية التالية:

-كيف حضرت مدينة غرداية في ديوان عثمان لوصيف؟

-وكيف برزت غرداية في الشعر الفصيح والملحون والبربري؟

-إلى أي مدى تساهم العتبات النصية في تشكيل صورة مكان مدينة غرداية في ديوان غرداية لعثمان لوصيف؟

-كيف تتجلى صورة المكان غرداية من خلال البعد الأنثوي والصوفي والتناصي في الديوان؟

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة، حيث بدأنا الحديث في المدخل عن غرداية من خلال تحديد موقعها الجغرافي والطبيعي؛ وأيضاً الوقوف عند تاريخها وتأسيسها، وتنوع تسمياتها، وختمناه بحديث يخص حضورها في مختلف الأعمال الفنية والأدبية. وعنونا المبحث الأول بـ: "غرداية في الشعر الجزائري"؛ وخصصناه – بصفة عامة – للحديث عن حضور غرداية في الشعر الجزائري حسب تنوعاته المختلفة؛ من شعر فصيح وشعبي (ملحون) وأمازيغي (مزابي بصفة خاصة)، وكان الغرض منه أن نقدم مسحا شعريا لبعض النصوص التي احتفت بهذه المدينة المشهود لها بعبقها التاريخي؛ ومعمارها الفريد؛ فاستحضار هذا الإرث الشعري المتنوع يدل على خصوصية ثقافية واجتماعية مترابطة تماما مع خصوصية عمرانية فريدة؛ لها ملامحها ومواصفاتها الخاصة؛ والتي هي شديدة الصلة بالهوية الجزائرية المُبدعة. أما المبحث الثاني فعنوناه بـ: "جماليات المكان من خلال العتبات النصية في ديوان غرداية لعثمان لوصيف"، منطلقين من بعض المفاهيم الإجرائية مثل "العتبات النصية" كما نظر لها ميخائيل باختين أو جوليا كريستيفا؛ ومنها الغلاف والعنوان والإهداء؛ في محاولة للكشف عن مدى ترابط هذه العتبات النصية مع بعضها البعض؛ كفضاءات دلالية تهيئ المتلقي وتوجهه نحو قراءة جمالية خاصة المكان .أما المبحث الثالث المعنون بالتشكيل الجمالي والدلالي للمكان في ديوان غرداية فوقفنا عند ظاهرة تأنيث المكان في اقترانها مع البعد الروحاني لهذا المكان؛ وهي قضايا أدبية لها علاقة وطيدة بمرجعية الشاعر الثقافية الصوفية أو الشعرية؛ والتي نفترض أنها ستظهر وتتجلى من خلال التناصات المتعددة صيغها وأشكالها وأبعادها الجمالية والدلالية مما يعبر عن رؤية الشاعر للمكان كذات حية نابضة بالروح.

أما فيما يخص المنهج فقد اقتضت الضرورة أن نوظف المنهج التاريخي في المبحث الأول، ووظفنا بعض إجراءات المنهج السيميائي والبنيوي في المبحث الثاني والثالث؛ هذه المناهج التي زودتنا بمفاهيم إجرائية متينة مضبوطة، ورأينا أنه من الضروري الاستئناس بها في التفسير والتأويل.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا في بحثنا فهي كثيرة؛ لكن أعْقدها وأكثرها التباسا هو مقاربة ديوان "غرداية" وفقاً لمفهوم "المدينة الشخصية" كما نظر إليها كبار النقاد الغربيين؛ فهو مفهوم زئبقي غامض؛ سواء تعلق الأمر بتمثله أولا و من خلال تطبيقه ثانيا .أما الصعوبة الثانية فهي كيفية التعامل مع النصوص التي اتخذناها شواهد إذْ حاولنا الابتعاد قدر المستطاع عن نثر الشعر وهو ما يقع فيه الباحثون؛ ومن هذا المنطلق كنا نقدم قراءتنا للنصوص؛ وبعدها نقدم المقاطع الشعرية كما وردت في صيغتها الجمالية؛ بعيدا عن التركيب النثري الذي لا يرقى لجماليات الشعر المذهلة، ومن الصعوبات أيضاً صعوبة مقاربة الرؤية الفنية والإبداعية للشاعر عثمان لوصيف في ديوان "غرداية" تلك الرؤية المفعمة بالبعد الصوفي الوجودي؛ والذي يحتاج إلى وقت وجهد كبير من أجل الوقوف عند تفاصيله.

كنا نُذلل هذه العقبات بتوجيهات المشرف الأستاذ الدكتور "سرقمة عاشور" والتي كانت حقا تأخذنا لبرِّ الأمان؛ فله منا كل الشكر والتقدير، والشكر موصول لكل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

سمية بلعور

غرداية في:

الإثنين 21 ذو القعدة 1446هـ يوافق: 19 ماي 2025م

تمهيد:

غردايـة: في الجغرافيا والتاريـخ والأدب

تمهيد:

نناقش في هذا المدخل التعريف بـ "غرداية" وحضورها في الجغرافيا والتاريخ والأدب، ونحسب بأنها من أهم المدن التي حظيت بوافر حظ في الدراسات التاريخية والجغرافية، وانعكس ذلك في عدد من النصوص الفنية والإبداعية الأدبية، ومن الناحية الجغرافية

تقع مدينة غرداية شمال الصحراء الجزائرية على بعد 600 كم جنوب الجزائر العاصمة، وتغلب على تضاريسها الهضاب الصخرية التي تتخللها وديان متشعبة ومتداخلة، لذا سميت ببلاد الشبكة، وتضم ولاية غرداية حالياً مجموعة من القصور التاريخية هي: غرداية . مليكة . بني يزڤن . بنورة . العطف . بريان . القرارة . متليلي[1].

وحسب بعض الدراسات فإن مساحة بلاد الشبكة تقدر بـ «حوالي ثمانية وثلاثين ألف كيلو متر مربع. يحدها شمالا وادي بُوزْبِيَّرْ، وغرباً وادي زَرْقُونْ، وتمتد شرقاً فتشمل زلفانة والقرارة، وتختلط جنوباً مع بلاد الشعانبة»[2].

وتشير بعض الوثائق والدراسات إلى أن تاريخ غرداية يعود إلى ما قبل التاريخ، ودليلها في ذلك الآثار التي تم اكتشافها وتعود إلى «العصر الحجري الأول، وهذا من خلال بعض الباحثين أمثال "بيار روفو"، "جوال أبونو"، "نجيب فرحات" و"مليكة حشيد" وذلك من خلال اكتشاف صناعات حجرية ومعالم جنائزية وبعض

1- ديوان حماية مزاب وترقيته، سلسلة قصور غرداية،2017، ص: 05.

2 - يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني مزاب: دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، 2014، ط3، ص: 01.

النقوش الصخرية المنتشرة عبر ضفاف المنطقة يعود تاريخها من 18000 سنة إلى 5000 سنة قبل الميلاد»[1]

أما عن تسمية "غرداية" وكغيرها من تسميات المناطق الأخرى بالجزائر؛ والتي مرت بفترات تاريخية متنوعة وحضارات مختلفة؛ تعددت تسمياتها بين العربية والبربرية (الأمازيغية)، فهناك من يسميها "غَارْ دَايَة" نسبة للمرأة "داية" التي كانت تسكن في غار لها أعالي المدينة[2]، وهناك من يسميها "تَغَردايَتْ"[3]، وهناك من يطلق عليها "وادي مزاب" أو "ميزاب" نسبة إلى قبيلة بني مزاب التي تسكنها.

والتسمية الرسمية الحالية للمنطقة هي "غرداية" وهي التسمية التي صدرت في الجريدة الرسمية

وكانت ولاية غرداية فيما سبق تمتد من منطقة القرارة إلى حاسي القارة، وقد انفصلت المنيعة عن غرداية لتصبح ولاية مستقلة؛ وضمت إليها دائرة حاسي لفحل.

ويذكر مختار سويلم بأن المنطقة في فترة الاستعمار الفرنسي كانت تضم مختلف الطوائف الدينية حيث كانت «تؤوي أتباع الأديان السماوية الثلاثة: المسلمين وهم السكان الأصليون من طائفتي المالكية والإباضية؛ واليهود[4] والنصارى الذين وفدوا مع المحتل، وقد غادر اليهود والنصارى المدينة باندحار المحتل سنة 1962،

1 – ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، دليل المواقع والمعالم التاريخية لولاية غرداية، 2012، ص: 06.

2 – ينظر: سويلم مختار بن موسى، ذكريات من النضال والمقاومة للمجاهد أحمد مهاية (أحمد لعمى)، دار صبحي للنشر والطباعة والتوزيع، متليلي غارداية، ط1، 2019، ص: 31.

3 – ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، دليل المواقع والمعالم التاريخية لولاية غرداية، م. س، ص: 13.

4 – ينظر تفاصيل أكثر حول وجود اليهود بغرداية وجلائهم في كتاب أحمد بوداود، يهود وادي ميزاب من النواة إلى الجلاء، فواصل للنشر والإعلام، غرداية الجزائر، 2021، ص: 67 وما بعدها.

وبقيت المدينة خالصة لأهلها...»[1] ورد في كثير من الكتب بأن غرداية كانت منطقة للتعايش بين مختلف الطوائف الدينية من مسلمين ويهود ومسيحيين.

وقد زار غرداية عدة رحالة وباحثين عرباً وأجانب منهم:

إيجان دوماس(Eugene Doumas)[2]

آمات شارل (Amat Charles)[3]

وقد وفد إلى غرداية ووادي ميزاب كثير من العلماء كانت لهم عديد الأدوار الاجتماعية والثقافية في المنطقة، أحصى الأستاذ كروم الحاج أحمد بن حمو عدداً مهماً منهم، يمكن العودة إلى دراسته بالتفصيل[4].

وقد كان لغرداية حضور في عديد الأعمال الأدبية السردية مثل الرواية منها رواية "وطن تاء العبور"[5] للكاتبة الجزائرية وردة زرڤين، والتي تحدثت فيها عن عدة مناطق من الجزائر منها غرداية، حيث تناولت بعض العادات والتقاليد فيها وعدة شوارع وأحياء فيها.

---

1 – المرجع السابق، ص: 33.

2 – ينظر مؤلفه:

Le Sahara algérien : études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie

3 – ينظر مؤلفه: Le M'zab et les M'zabites...

4 – كروم الحاج أحمد بن حمو، العلماء الوافدون إلى وادي مزاب ودورهم في التغيير الاجتماعي، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، الأيام الدراسية العلمية: من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي (ت 927هـ/1521م) إلى الشيخ حمو بن موسى عمي سعيد (ت1425هـ/2005م) المحاضرة الأولى، ص:03 وما بعدها.

5 – صادرة عن دار خيال للنشر والترجمة

وكذلك كان له حضور في عديد الأعمال الفنية من رسومات ونحت وأفلام سينمائية ومسرح وغيرها، مما يتطلب أن تفرد له دراسة خاصة تقف عند هذه الجوانب، لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال اختزال تاريخ غرداية جغرافياً وتاريخياً وثقافياً وحضارياً في بضع صفحات.

المبحث الأول:

غرداية المدينة في الشعر الجزائري

المبحث الأول: غرداية المدينة في الشعر الجزائري

إنّ مدينة غرداية تكشف عن حضور قوي ومتنوع في الشعر الجزائري حيث لم تقتصر على الشعر الفصيح فحسب، بل وجدت لها مكانا معتبرا في الشعر الشعبي الملحون، وأيضا في الشعر الأمازيغي، ما يدل على عمق ارتباط الشعراء بهذه المدينة بمختلف مكوناتهم اللغوية والثقافية.

المطلب الأول: غرداية في الشعر الفصيح

مفدي زكرياء رمضان حمود صالح خرفي سليمان دواق وعبد الرحمان بن سانية عبد القادر جقاوة...

اطلعنا على عدد من الدواوين لبعض الشعراء خاصة من ولاية غرداية، ووجدنا في بعضها احتفاء بغرداية المدينة والحديث عنها بصور مختلفة، وخَلَتْ دواوين أخرى من أي ذكر لها[1] لأنها اهتمت بقضايا ذات بعد وطني أو قضايا واهتمامات شخصية أو محلية، وسنحاول أن نستحضر بعض أوجه الاحتفاء بغرداية.

وقد احتفى شاعر الثورة الجزائرية بغرداية في عديد قصائده، منها ما ذكره في إلياذة الجزائر وهو يفتخر بمسقط رأسه غرداية بقوله:

«تقدس واديك منبت عزي ....ومسقط رأسي وإلهام حسي

وربض أبي... ومرابع أمي ....ومغنى صباي وأحلام عرسي

1 . من تلك الدواوين نذكر: ديوان البكري لصاحبه الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي البكري (1901.1986) و"إبحار في مواقع المعصم والسوار" لغزيل بلقاسم و"مدوا الأيدي نتصالح" لأحمد الأمين و"اللؤلؤ المكنون من الحروف والشجون" لجقاوة سميحة و" على الأعراف أشواق" لمحمد جقاوة" و"متى الصبح يا وطني" لمسعود بالحاج خرازي و"أهداب الزعفران" لعلي مخلوف و"عناقيد الفرح" لريم جبريت و"موغل في العشق" و"قد مسني الضر" لمحمد مبسوط و"انكسارات على رصيف الزمن" لأحمد العربي الأخضري وغيرها من الدواوين الأخرى.

وفخر الجزائر فيك تناهت....مكارم عرب وأمجاد فرس

وأحفاد أول من ركزوا....سيادة أرض الجزائر أمس

دماء بن رستم ملء الحنايا....صوارخ يلهبن عزة نفسي

وعرق الأَصالة طَهَّر طبعي....ونور الهداية أذْهَبَ رجسي

وكرَّمْتُ باسم المفاخر قومي....وشرَّفْتُ باسم الجزائر جنسي...»[1]

ونجد أيضاً الشاعر عبد الرحمن بن سانية وهو يتحدث في قصيدته عن الاحتفال بعيد الزربية في مدينة غرداية، وكيف خلت الشوارع من السيارات وحلت محلها الخيول والإبل، و" عيد الزربية" حدث كبير اهتزت له كل أطراف المدينة، يقول في قصيدته " يا عود زرياب":

«قد جاش من حدث دوت عجائبه في مغرب الكون فاهتزت مشارقه

ميزاب مادث وفاضت كل ناحية منها بحشدٍ كأن الحشر سائقه»[2]

إلى أن يقول:

«هذي الشوارع سياراتها رحلت والخيل في دربها تعدو تسابقه

وذا البعير متى ملّ البوادي كي يأتي إلى السوق والبشرى تسابقه؟

1 – مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1987، ص: 35.

2 – عبد الرحمن بن سانية، حبو على أعتاب مملكة الشعر... (مجموعة شعرية)، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي غارداية، الجزائر، ط1، 2012، ص: 34.

هل المدينة قد صارت تناسبه والرمل أصبح في الصحرا يضايقه؟»[1]

ويستعمل أيضاً تسمية "ميزاب" مرة أخرى للدلالة على غرداية في قصيدة " مع الماردة... مرة أخرى" حيث يقول:

«فقلت لها غلبتِ وأنت أنثى فطيري بي لأرض الطيبينا

نُجرب في خطوط الجن ظعناً فإن الحافلات بها ابتلينا

خذي كفي اليسار فلست وحدي إليها راحلاً في الظاعنينا

فها ميزاب في يمناي شَعَّتْ تُراثاً ينشر المجد المبينا

رحلت بها لتحضنها إذا ما مَدَدْتُ لها أصافحها اليمينا»[2]

وهذا الشاعر مسعود بالحاج خرازي يستعمل أيضاً تسمية "مزاب" في قصيدته "نسائم نفوسة" التي كتبها في ترحيب بوفد من جبل نفوسة بليبيا زار غرداية (واد مزاب) لكونهما تربطهما علاقة وطيدة، يقول في مطلعها:

«من الجبل الشامخ الأخضر إلى الجبل الشامخ الأسمر

فمرحى بكم –أهلنا – في قلوبٍ تَحِنُّ إلى نبضها المِحْوري»[3]

إلى أن يقول في آخرها:

«سلامٌ عليكم بِوَادٍ خصيبٍ نزلتُمْ به منزلَ الكَوثرِ

1 – المرجع السابق، ص: 35.

2 – المرجع السابق، ص: 61.

3 – مسعود بالحاج خرازي، لا تثريب عليكم (شعر)، مطبعة الإحسان، غرداية، الجزائر، د. ت، د. ط، ص: 60.

ودام "مزابُ" صدى إخوةٍ ودامت "نفوسةُ" معنىً ثَرِي»[1]

وبمناسبة الزيارة ذاتها كتب الشاعر عمر بن باحمد هيبة قصيدة عنونها: " تحية (عاجلة) إلى أبناء جبل نفوسة" اختار فيها استعمال تسمية "وادٍ" أي "الوادي" ليسمي بها غرداية، يقول في مطلعها:

«يـــا كـــــرامـــاً ليس حُلـماً؛ أن جمعنا بين وادٍ وجـبلْ

بـــين قطـــرين كـريمـــين على ضِـــفّة وادٍ لم يَـــزَلْ

تحت حَرِّ الشّمس يَسعى ثم يَهوى كُلَّ أصناف العملْ»[2]

ووظف الشاعر مسعود بالحاج خرازي أيضاً تسمية "ميزاب" بالياء في قصيدته " ترنيمة لهيبة الحروف" التي أهداها للشاعر عمر بن باحمد هيبة بمناسبة صدور ديوانه بعنوان (بلاد المجد والشمس) وهي تسمية أخرى لغرداية وظفها الشاعر خرازي في نفس القصيدة، حين يقول:

«وَعاشَ مَعَ الأنسام يَذكُر هيبةً كمثل أبٍ يحيا نجابةَ نَجلهِ

لَهُ في "بلاد المجد والشّمس" هَيْبَةً تَغنّى بها الوَادي احْتِفاءً بِفَضْلِه

فَميزابُ مُنذُ البَدْءِ يَشمُخُ هَا هُنَا وَأعجَبُ مِن وهمٍ يُنادِي بِرَحْلِهِ»[3]

واستعمل أيضا تسمية مزاب في قصيدته " جلال الحروف" التي أهداها أيضاً للشاعر عمر بن باحمد هيبة بمناسبة صدور ديوانه السادس (الطَّلُّ والوَابِلُ)، حيث يقول:

«يَا أيُّها الحرْفُ المُضيء أَسَرْتنَا إنَّ الفَرَاغَ إذَا نَأيتَ يُطاوِلُ

1 – المرجع السابق، ص: 61.

2 – عمر بن باحمد هيبة، عن بلاد المجد والشمس، مطبعة الآفاق، غرداية الجزائر، د. ت، د. ط، ص: 40.

3 – المرجع السابق، ص: 73.

بَوْحُ المَهَابَة في رحابكَ صَادِحٌ غَنّى مِزَابَ وَرَدَّدَتْهُ عَنَادِلُ»[1]

وقد استعمل الشاعر عمر بن باحمد هيبة أيضاً تسمية "مِزاب" مع تسمية "الوادي" في بعض قصائده، منها قوله في قصيدته التي أُلقيت في تأبين لعساكر إبراهيم بن باعلي ببريان جوان 2013:

«مِزَابِ لَنـَا وِعـــاءٌ مِــنْ نَــقاءٍ أصَــالَتُنا، حَــضَارَتُــنا بِـــوادِ

سَلُوا مِزَاب عَنْ عَهدٍ عَصيبٍ عَنِ الإصْرَارِ في المُدَدِ الشِّدادِ»[2]

وقد اختار الشاعر عمر بن باحمد هيبة تسمية مُتفردة ليطلقها على غرداية فسماها "بلاد المجد والشمس" كما سبق لنا ذكره مع الشاعر مسعود بالحاج خرازي، وهي أيضاً تسمية أول قصيدة في ديوانه "عن بلاد المجد والشمس"، فإنه رغم قفر المكان وحرارة الشمس إلا أن الأماجد في هذا البلد استطاعوا أن يتحدوا الصعاب ليعيشوا بسلام، يقول في قصيدته:

«عن السّرِّ في بلدي سالَ سَائِلْ لماذا –هنا– جَلَبونا الأَوائلْ؟

فهل بالمكانِ رياضٌ مُروجٌ وَرِقَّةُ عيشٍ، ولَحْنُ الجَدَاول

وماءٌ زُلالٌ، وظِلٌّ ظليلٌ نَسيمٌ عليلٌ بظلِّ الخَمائلْ؟

فقلتُ بَلَى إنَّما الأرضُ قَفْرٌ، وفوق المكان شموس الأصائلْ

هُنَا قَدَرٌ قائمٌ ورقيبٌ وليسَ يُؤَمَّنُ دَرْبُ القوافل

1 – المرجع السابق، ص: 85.

2 – عمر بن باحمد هيبة، عن بلاد المجد والشمس، م. س، ص: 50.

وَرَاءَ احْتماء الفتى بالفيَافي بَقاءٌ، وصونٌ، ورأيٌ مُقاتل»[1]

ويعود الشاعر ليستحضر اسم "غرداية"، مكرراً ذكره في قصيدته التي كتبها وهو يتأسف على أحداث الحرق والتخريب والترويع التي حدثت في غرداية سنة 2015، حيث يقول في قصيدة "النزيف":

«...غرداية المجد، ضاعَ المَجدُ في نَزَقٍ مِنَ السَّفاسفِ والأوهامِ وَالخَبَلِ

غرداية العلم، أينَ العِلمُ في بَلَدٍ يَجْتاحُهُ الخُلفُ بالأهْواءِ والنِّحَلِ

غَرْداية الرَّجُلِ المِقدامِ، في خَلَدي أين الرُّجولة؟ كَرْبي غَيْرُ مُحتَمَلِ

غَرداية البلد المعْطاءَ، في أمَدٍ أيْنَ العَطَاءُ؟ على علمٍ بلا عملِ

غرداية الحُبِّ، ضَاعَ الحُبُّ في وَطَني فَصِرْتُ أدْخُلُ أرضي فَاقِدَ الأمَلِ

غَرْدَايَة الوعْيِ، إنْ لمْ تَنْهَضي فَلَقَدْ صِرْنا علَى خَطَرِ الإفلاسِ والفَشَلِ...»[2]

ويلقبها مرة أخرى بـ"عاصمة الجنوب" يقول في قصيدة له بعنوان: "رسالة SMS لأهل غرداية في العالية" يقول فيها:

«يا أهل عاصمة الجَنُوب تَحيَّتي أَنتمْ كِامُ الحيِّ أنْتُمْ وِجْهَتي

فيكُمْ مَعَاني العِزِّ فيكُم سُمعتي وعَقيدتِي، دَرْبُ الفَضيلةِ مِلَّتي

إنْ صُنْتُموا شَرَفاً فَهَذِي مُنْيَتي أَوْ خُنْتُمُوا فَنِهايَتي ومَنِيَّتِي»[3]

1 – عمر بن باحمد هيبة، عن بلاد المجد والشمس، م. س، ص: ن.

2 – المرجع السابق، ص: 69.

3 – المرجع السابق، ص: 84.

وهذا الشاعر سليمان بن عمر دواق اختار اسم ميزاب في عدد كبير من قصائد ديوانه "نَفَحات ولَفَحات"، يقول في إحدى قصائده بعنوان: "ميزاب البلد الطيب" التي كتبها بمناسبة الأسبوع الثقافي لولاية غرداية بالعاصمة جوان 1998:

«إنْ نَشَدْتَ الحُسنَ يوماً بينَ أحضانِ الطَّبيعةْ

أَوْ طَلَبْتَ العيشَ رَغْداً بَيْنَ أَقْوَامٍ وَدِيعةْ

وَتَمَنّيتَ الأَماني فَغَدَتْ عَنْكَ مَنيعَه

فالتَمِسْ وَاحَاتِ مِيزابَ البَدِيعةْ...»[1]

والشاعر سليمان بن عمر دواق يُعلن في مقدمة ديوانه بأنه خَصَّصَ جزءاً كبيراً من ديوانه هذا للتعريف بغرداية ووادي ميزاب وبأهم أعلامه ومكنوناته، يقول في مقدمة الديوان: «إنَّ وادي ميزاب هذا الرَّبْعُ الحبيب من ربوع جزائرنا الغالية جدير بأن يتغنى به فحول الشعراء لما فيه من قُدسية دينية مؤصّلة ونمطية سلوكية مميزة، وبصمات حضارية متحدية لتقلبات الدهر»[2].

ثم يبدي تأسفه على عدم الاحتفاء بهذه البلدة الطيبة من طرف الشاعر مفدي زكرياء الذي ينتمي إليها ثم يُعلّلُ سبب ذلك قائلاً: «ومن المُؤسف أن يَمُرّ عليه شاعر في حجم (مفدي زكرياء) مرور الكرام ولا يَخُصّه إلا بمقطع فريد من إلياذته –ولا شك أنّ للشاعر عذره– وعذره هو كونه ابن الوادي، ومن أخلاق أبناء هذا

1 – سليمان بن عمر دواق، نفَحات ولَفحات، (ديوان شعر)، نشر جمعية التراث، القرارة غرداية، الجزائر، د. ط، 2009، ص:

2 – المرجع السابق، ص: 08.

الوادي نُكران الذات والزهد في تزكية النفس. ولقائل إن يقول: فأين أنت من هذا الخُلُق؟ ولم هذا الزخم من قصائدك حول هذا الربع وأنت من أبنائه؟»[1].

يواصل الشاعر سليمان دواق قائلاً: «أقول: إنّ آفة الوادي وبلواه أنّه كان منغلقاً على نفسه يجهل الكثيرون خصائصه ومناقبه، والأدهى في الأمر أن البعض الآخر من الناس – ومن حسن الحظ هم قلّة– يحلو لهم أن يشوهوا حقائقه ويرسموا له صورة مُزيفة تخدم أغراضهم الحقيرة.

لذا لا تثريب على شاعر مثلي من أبناء الوادي إن هو أفرد له ديواناً شعرياً يريد به إعادة الاعتبار لهذا الربع وتقديمه لمن يجهله على حقيقته. وقديماً قيل "أهل مكة أدرى بشعابها"»[2]

وهكذا لاحظنا تعدد توظيف التسميات لغرداية عند شعراء الشعر الفصيح، كل حسب الاسم الذي يوظفه والأبعاد المختلفة التي يبتغيها من خلاله، وهي أحياناً متعددة عند الشاعر الواحد.

المطلب الثاني: غرداية في الشّعر الشَّعبي الملحون

لقد أخذت "غرداية" حظاً وافراً وحضوراً لافتاً لدى شعراء الملحون من شعراء غرداية أو مختلف أنحاء الوطن.

فقد أوردها الشيخ سيدي أحمد بن الحرمة البرياني (1835–1924م) في عديد قصائده، نذكر منها قصيدته التي يرد فيها على أحد الأشخاص اسمه "الطيب" تحامل في كلامه على الأشراف ببريان، فذكره في هذه القصائد بمفاخرهم من أصولهم الشريفة وما أنعم الله به عليهم من نعم، يقول في مطلعها:

«الطيب يا اقبيح ماكش بن عليا ماكش من اللي امسلمين

1 – المرجع السابق، ص:08.

2 – المرجع السابق.

تقتب لشراف جدهم سيدي يحي في الشجارة منزلين»

إلى قوله:

«عمار الصحرا اقبيل كانت مخلية واللي سبوه خاسرين

خوتي لشراف يسكنو في غارداية أثرايت عمران نايرين»[1]

وهذا أيضاً الشاعر قدور بلخضر بيتور(1860-1924م)، يورد غرداية في أشعاره، من مثل ما ذكره في قصيدته " قمري الحمام" حيث يشتكي فراق المحبوب:

«الزين يا الخو بعد أن كان هنايا ولى معاشر ستيتن والغاسول

وانا بقيت يا خوتي في غرداية ومعاشر القصر ومقعادي بلا مول

وليت للمكاره للناس اشفايا غابو رفايقي زينين المرحول»[2]

وهذا الشاعر عمر بن الحاج عيسى بن بلعيد البرياني(1880-1947م) يذكر غرداية في عدة مواقع من قصائد ديوانه "ديوان الغريب" يقول في إحدى قصائده متحدثاً عن رحلة بن جلول (1925-1939) زعيم حزب النواب الجزائري لغرداية، وحول رحلة بن جلول مع العلماء يوم 29 أفريل 1937 :

«ترى زيارات الوفد يوم السبت ليلت الحد بن جلول وافى بالوعد

صاحب الوعد الموعود

1 – ديوان الشاعر الفحل الشيخ أحمد بن الحرمة البرياني 1924/1835م، جمع وتأليف: مطلق عمار بن الحاج سعد، د. د. ن، د. ت. ن، د. ط، ص: 200.

2 – الدر المنثور من شعر بن لخضر قدور، الشاعر بن لخضر قدور بيتور، جمع وتنسيق: الشيخ لعمش حسين وآخرون، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي غارداية، الجزائر، ط1، 2020، ص: 293.

بن جلول زاعم قسنطينة والدزاير كل امدينه وادي ميزاب منهُ بينا؟!»[1]

فهو يتساءل من لوادي ميزاب؟

ويستعمل تسمية "غرداية" في موقع آخر حين يتحدث عن زيارة وفد بن جلول لغرداية وعودتهم منها، يقول:

«ودَّعْنَاهم بعد أن ختموا ثم أن قاموا بعد أن تموا خرجوا من الدار اتلمو

يركبوا تلك البريد

في ثلت اتواكص جرايه راحوا ولاو لغرداية بالتواكص من الغايه

نصف الليل وقت البرود»[2]

كما نجد غرداية حاضرة في الشعر الشعبي الملحون لدى عدد من الشعراء من خارج ولاية غرداية، ومن بين أولئك الشعراء نجد الشاعر عبد الله بن كريو التخي (1868-1921) وهو بمدينة المنيعة يشكو غربة نفيه إلى هناك في قصيدته المشهورة "هلكني تراس" أو "المنيعة" وهو فيها يفتخر ببلده الأغواط ونسبه، وحين تم فك الحصار عنه قرر العودة للأغواط، وأثناء عودته ذكر غرداية؛ حيث مكث فيها مدة يومين يقول:

«كِي شَفْتَ التَّسْرِيحْ ذَرْكْ اتْهنّينَا البَوشَاطْ انْهَلْكُوهْ ابْرُودْ الحَالْ

نَعْطِيكْ نَعْت البُوشْطَه كِيفْ اتجينَا ابْعِيرْ اجْرَبْ جَا مْعَا الصّحْرَا هَرْقَالْ

انْشُوفُو ذِيكْ الفْجُوجْ العَرْيَانَا سَبْعَ أيّامْ وَاعْدَادْهمْ وَاللّيلْ اكْمَال

1 - عمر بن الحاج عيسى بن بلعيد البرياني1880-1947م، ديوان الغريب (شعر ملحون)، دراسة وتح: يحي بن بهون حاج امحمد، العالمية للطباعة والخدمات، 2010، ص: 225.

2 - المرجع السابق، ص 228.

غَرْدَايَا[1] يَوْمِينْ فِيهَا رَيَّحنَا وَضْرَبْنا[2] رِيح الوطَنْ وزْيَانْ لحَالْ

لاَ مَرْسُولْ انْزيفْطُو بَبْشَارَتْنَا هَنّاني سَلْك التّريسيتي خَصَّالْ

خَرْجُوا مَن لَقْوَاطْ يَتْلَقُّوا فِينَا لحْبَابْ اللّي شَاده الظّنّه مَا زَالْ»[3]

وهذا الشاعر الأمين سويقات من ولاية ورقلة يفتخر بوطنه الجزائر في قصيدته " أرض المليون" ويتجول في مدن الجزائر القارة فيذكر عديد المناطق وما تشتهر به من خصال، فيذكر غرداية يقول:

«لمنيعة رجال كرمه همية لقرارة واحبابنا في بريان

وارجع لا تنسى قدم هدية لغرداية وبرور متليلي الشجعان»[4]

فنجد أن الشاعر هنا يحتفي بعدة مدن هي: المنيعة والقرارة وبريان وغرداية ومتليلي وكلها من المدن الجنوبية التي رأى الشاعر ضرورة ذكرها في قصيدته، وهو ذكر يعلي من شأنها وقيمتها نظراً لمكانتها المميزة عنده.

المطلب الثالث: غرداية في الشعر البربري (المزابي)

غرداية بمختلف تسمياتها كانت أيضاً حاضرة وبشكل لافت في الأدب الأمازيغي المحلي بغرداية أو المزابي، حيث تعرض لذكرها كثير من الشعراء لضرورات مختلفة، وسنحاول هنا أن نستعرض بها.

1 – وردت أثناء التحليل والدراسة " غرداية" بدل "غردايا" ينظر: بلقاسم خميلي، روائع الشاعر الشعبي عبد الله التخي بن كريو، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت، د. ط، ص: 163

2 – وردت أثناء التحليل والدراسة "شمينا ريح الوطن" بدل " وضربنا ريح الوطن".. ينظر: نفسه.

3 – المرجع السابق، ص ص: 104-105.

4 – الأمين سويقات، مواويل الشوق والأمل (ديوان شعر شعبي)، دار هومة، الجزائر، د. ت، د. ط، ص: 18.

نجد الشاعر عبد الوهاب حمو فخار في ديوانه "دموع الفرح" "اِمَطَّوَنْ نْ لْفَرْحْ" في نسخته المترجمة من الأمازيغية إلى العربية، يورد في قصيدته "طلقة نوفمبر":

«في ليلة نوفمبر

الطلقة دوّت، فأنهضت

في ليلة الواح،

"الجزائر" كلها انتفضت!

من جبال "الأوراس" صاحُوا:

كِفايَـــــة!

من أعلى "القَبائِل" صاحوا:

كِفايَـــــة!

من قلب "مْزَابَ" صاحوا:

كِفايَـــــة!... »[1]

وهو يتحدث عن ردة الشعب الجزائري في كل مناطق الجزائر بعد انطلاق شرارة ثورة الفاتح من نوفمبر؛ والذي نادى بصوت واحد " **كِفايَـــــة**"، ليُعلن عن انتهاء فترة الظلم وبداية الرحلة للظفر بالحرية والاستقلال، ولم تتخلف في نظره أي منطقة من الشمال إلى الجنوب في الأوراس ومنطقة القبائل وأيضاً "مْزاب".

1 – عبد الوهاب حمو فخار، دموع الفرح (شعر أمازيغي مترجم إلى العربية)، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2007، ص: 103.

ونجد الشاعر هنا يستعمل تسمية "مْزَاب" بتسكين الميم وهي تسمية من التسميات المحلية التي تطلق على غرداية أو وادي مزاب، والتي تحيل بصفة أدق على قبائل بني مزاب الذين يسكنون فيها.

وهو يستعمل "مْزَاب" أيضاً في قصيدته "ما بين «باريس» و«آغلان»" و يروي فيها قصة رحلة شاب من وطنه الجزائر ليدرك بعد مدة من التيه والضياع هناك بأن أرض وطنه بالقرب من والديه؛ أفضل بكثير من التغرب عن الوطن والأهل والأحباب، وهي النصيحة التي كان قد أسداها له معلمه منذ سنوات، واسترجعتها ذاكرته آنذاك، فقرر أن يكتب رسالة لوالديه خبرهما بعودته يقول:

«عزمت أن أرجع إلى الله

حضّرت أمتعتي.

كتبت رسالة...

إلى "مْزاب" بعثتها...»[1]

ولأنه يتحدث هنا بروح الانتماء والهوية استعمل تسمية "مْزاب"، وفي نفس القصيدة استعمل "غرداية" الذي هو الاسم الإداري الرسمي حين ذهب يسأل بوهران بعد عودته للجزائر مع شركة الخطوط الفرنسية عن الحافلات التي تقل إلى مدينة غرداية، يقول:

«ذهبت إلى "الخطوط الفرنسية".

حجزت مكاني،

في الطائرة التي،

1 – عبد الوهاب حمو فخار، دموع الفرح (شعر أمازيغي مترجم إلى العربية)، م. س، ص: 141.

تحط في "وهران"

سألت عن الحافلات،

التي توصل إلى "غرداية"؛

فوجدت طوابير...

كأنها كَرَاديسُ متراصّة!؟ »[1]

أما الشاعر صالح ترشين في ديوانه "أُولْ اِنُو" (قلبي، Mon cœur) الذي هو عبارة عن قصائد بالمزابية مترجمة إلى العربية والفرنسية، فهو يستعمل تسمية "أرض ميزاب" للدلالة على غرداية حين يقول:

«أرض "الصحراء"، أرض الرجال.

ارو حكايتها لمن يصغي:

في صدرها الذهب الأسود،

جوهرتها أرض ميزاب.

عندما ألقى عليها "الفرنسي" نسيج العنكبوت،

الناس تضرعوا عسى أن يطلع صبح...»[2]

ونجده في هذا الديوان يخصص قصيدة كاملة لغرداية سمّاها " تغردايت" يفتخر بها، ويتحدث عن محاسنها وأهم رموزها وصفاتها يقول فيها:

1 – عبد الوهاب حمو فخار، دموع الفرح (شعر أمازيغي مترجم إلى العربية)، م. س، ص: 142.

2 – صالح ترشين، أُولْ اِنُو (قصائد بالمزابية مترجمة إلى العربية والفرنسية)، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، د. ت، د. ط، ص: 121.

«هذه " تغردايت" سيدة القرى،

سطور من ذهب في حكاية ميزاب.

في صدرها قلوب حية»[1]

إلى قوله:

«النخلة والمئذنة اتخذنهما رمزا»»

الوجه يسحسن بـ: "تكنبوشت" و"آمول"...»

فلما كان الشاعر هنا يتحدث عن مسقط الرأس الذي يمثل الهوية والانتماء استعمل تسمية "تغردايت" لأنها تجسد هذا المعنى والشعور بكل تفاصيله.

1 - المرجع السابق، ص: 159.

المبحث الثاني:

جماليات المكان من خلال العتبات النصية في ديوان غردايـة لعثمان لوصيف

المبحث الثاني: جماليات المكان من خلال العتبات النصية في ديوان غرداية لعثمان لوصيف

نجد في ديوان عثمان لوصيف أنّ غرداية قد تحولت من مجرد مكان إلى رمز شعري وروحي مركّب، تتقاطع فيه الذات الشاعرة مع المكان كمجال للتأمل والبحث الوجودي.

-العتبات النصية:

يحتفي الدرس النقدي الحديث بشقيه الغربي والعربي حد الهوس والإفراط بمفهوم العتبات النصية أو النصوص الموازية أو المتعاليات النصية وخطاب المقدمات والنصوص المصاحبة والمكملات وسياجات النص والمناص والمحيط النصي وهي تسميات أخرى متداولة بكثافة في المباحث الأدبية المتفرقة هنا وهناك لهذا المصطلح الذي غالبا ما يستأنس به البحثة والنقاد والدارسون في حقل الأدب على ضوء تنظيرات جيرار جنيت الرصينة العميقة التي قدمت اجتهادات مشهود لها بالسبق والتفرد في مقاربة عوالم الخطابات الأدبية مهما تعددت صيغ أشكالها وقوالبها التعبيرية.

يقدم الباحث خالد خينش في مبحث له سلسلة من الإضاءات حول دلالة هذا المصطلح الذي يراد به غالبا مجمل النصوص الأخرى الصغيرة التي تحيط بالنص الأصلي وتشكل الإطار له من قبيل الأغلفة والعناوين والإهداءات والرسومات والهوامش والاقتباسات والحواشي والمقدمات[1] وكل المواد الكتابية الجانبية الأخرى المرافقة للنص الأصلي والتي تكون بمثابة عتبات ومداخل لازمة تؤهل المتلقي للقبض على المعنى الزئبقي الهارب.

1 – ينظر: خالد خينش، النص الموازي في رواية العمامة والقبعة البيضاء لصنع الله إبراهيم، مجلة مقاليد، دورية محكمة تعنى بالنقد ومصطلحاته، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع5، 2013، ص: 67.

المطلب الأول: جماليات المكان من خلال عتبة الغلاف

يحظى التشكيل الطباعي بمكانة قصوى في الدرس النقدي الحداثي وهذا ما يشير له الباحث محمد شيخة بحيث يقول: «ونقصد هنا بالشكل الطباعي هو جغرافية الكتابة الشعرية على بياض الورق والتي تتخذ أشكالا عديدة ومتنوعة توحي كل منها بالأفكار والانطباعات المسبقة التي قد تتحقق في أغلب النصوص الشعرية الحديثة فالشكل الطباعي للنصوص الأدبية يحتاج إلى مراعاة طبيعة الجنس الأدبي الذي نكتب في إطاره للمحافظة على أصوله أو الاحتفاظ منه بالمقدار الأدبي حتى لا تلتبس الأمور بعضها ببعض»[1].

من هذا المنظور فإن غلاف الديوان هو علامة غير ألسنية ومع ذلك هو أول عتبة رامزة يتوقف عندها المتلقي خاصة تلك الرسومات البصرية التي تؤدي وظيفة جمالية من مقاصدها في المقام الأول إخراج الكتاب تقنيا وبصريا في أبهى حلة بالإضافة إلى ذلك فإن تلك التشكيلات البصرية للغلاف تتضمن بين ثناياها حمولة دلالية خاطفة تحيل بشكل رمزي وإيحائي مكثف دون موارية لمجمل المناخات الشعرية التي يحوم حولها النص الأصلي، ولعلّ عملية إيصال رسالة النص وغلاف الديوان الشعري، وهي جميعاً تتعلق بالشيفرة التي هي نسق من العلامات يتحكم في إنتاج الرسائل، ويتحدد مدلولها بالنسق في علاقته بالمُستَقبل[2].

بالعودة إلى لوحة غلاف ديوان غرداية لشاعر الجماليات الكبرى الراحل عثمان لوصيف فإن اللافت للنظر أن مكونات الصور الأساسية لهذه العتبة وثيقة الصلة بالطبيعة من خلال استدعاء عناصر منها

1 – عبد الملك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، دار الغرب، وهران الجزائر، 2013، ص123 نقلا عن محمد الأمين شيخة، عتبات الولوج إلى أساليب النص الشعري الحديث، مجلة الناص، علمية محكمة تصدر عن قسم اللغة العربية والأدب العربي بجامعة جيجل، ع8، مارس 2008، ص72.

2 – ينظر: عاشور سرقمة، الراية في سيميائيات الطقس الديني: فنتازيا العلامة (مقال)، مجلة أيقونات، مجلة رقمية محكمة تعنى بنشر البحوث السيميائية، منشورات مجموعة "سيما" للبحوث السيميائية، سيدي بلعباس الجزائر، ع2، 2011، ص: 93.

كصورة النخلة التي يتوسطها وجه أنثى مرفوقة بصورة الشمس وبصورة الرمل وبصورة ضفاف الوادي والماء ثم أخيرا صورة العلم الوطني. هذه الرسومات في مجمل مكوناتها المبثوثة على فضاء الغلاف والمستقاة أصلا من البيئة الصحراوية ليست اعتباطية ولا مجانية وإنما هي مؤشرات تحمل بين طياتها رسائل مشفرة مفادها أن هذا الديوان –القصيدة– يشتغل بكثافة على تيمة الصحراء التي تعد بحق محورا رئيسا في هذه المدونة الشعرية وما يعزز هذا الطرح هو حضور هذه المكونات البصرية مجددا على المستوى المعجمي اللغوي فلمسنا وجود جسور امتداد بين البعد البصري على عتبة الغلاف والبعد المعجمي اللغوي داخل المتن الشعري بحيث لمسنا تناغما ظاهرا بين البعدين لا تخطئه العين أبدا إلى حد يمكننا أن نمثل له بثنائية الصوت والصدى فالغلاف وهو يتشكل بصريا في المخيال كان ينهل من المادة الشعرية في صيغتها اللغوية التي اشتغلت على المكان الصحراوي وهذا التقاطع أو لنقل هذا التجاذب بين المرئي في الصورة والملفوظ الشعري لم يقتصر على الاحتفاء باستدعاء مفردات الطبيعة المشار لها وإنما تعداها ليشمل الدلالة اللونية أيضا في المشاهد بكل تشعباتها التي وجدت معادلها الإبداعي أيضا بتجليات عدة معجميا على اعتبار أن اللون في البدء كان له حضوره المميز في الطبيعة ثم انتقل منها إلى فضاء الفنون خاصة الفن التشكيلي والشعر والسينما.

من هذا المنطلق فإن غلاف الديوان من خلال بلاغته البصرية حقق فعلا مقاصده الجمالية وقدم تفسيرات أولية لمضمون النص فصورة النخلة وصورة الماء هما غذاء ولهما رمزية دالة في المخيال الشعري العربي والشيء نفسه ينطبق على حضور صورة الشمس وصورة النجمة على اعتبار أنهما مصدر إشراق ونور وهذا البعد له علاقته بروحانية المكان المحتفى به ونفحات الذات الشاعرة المتصوفة في تفاعلها مع هذا الفضاء المخصوص بجماليات مشهود لها بالتفرد وعدم التماثل مع غيرها من الفضاءات الأخرى.

إن غلاف الديوان حبلى بمكونات الصحراء والصحراء حسب إبراهيم رماني هي «الفضاء البديل عن المدينة التي كانت بحق مصدر قلق وتوتر للكثير من الشعراء المحدثين في الشرق والغرب. يقول: رسم الشعراء الجزائريون صورة مديحية للصحراء تعبيرا عن موقف حب وإجلال، وعلاقة ذاتية حضارية خاصة، غير أنهم تفاوتوا نسبيا في قدرتهم على تصوير أبعادها الشاملة، وصياغة أعماق الذات الشاعرة في عشقها للمكان كما نجد لدى سحنون وأبي اليقظان وزكريا والأخضر السائحي وخرفي وخباشة والهادي السنوسي وغيرهم»[1].

المطلب الثاني: جماليات المكان من خلال عتبة العنوان

تشيد الكثير من الدراسات الأدبية بعتبة العنوان وتعلي من شأنه، وغالبا ما تتحدث عن وظائفه وشعريته وآليات تشكله؛ انطلاقا من مجمل المقاربات التي اشتغلت عليه موضوعا في حقل اللسانيات والسيميوطيقا ونظرية التواصل والسوسيو نقد، ناهيك عن فلسفة التفكيك مع أقطابها الكبار؛ والتي كانت مهووسة بهاجس تحطيم سلطة المركز وإعادة الاعتبار لمجهول الهامش ومن ثمة تزحزح العنوان من دائرة الهامش إلى دائرة المركز المهين[2] ، الذي له سلطته وهناك مقولات عدة تسير في ركاب التمجيد. تقول زهيرة بولفوس: «يعد العنوان أحد أهم مصاحبات النص، لأنه الحاضر الأول على صفحة غلاف كل منجز نصي فهو حارسه وهو العتبة الأولى التي يقام على حافتها فعل التفاوض إيذانا بالدخول إلى عوالمه أو التراجع عن

1 – إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائر أنموذجا –1925 –1962، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص163.

2 – ينظر: محمد بوعزة، من النص إلى العنوان، مجلة علامات في النقد، منشورات النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج14، ج53، سبتمبر 2004 ص406.

ذلك، فمن خلاله ينبجس العشق وتقع لذة القراءة أو يستبد الجفاء على مشهدية العلاقة بين النص»[1].كذلك يعدد الباحث فريد حليمي فضائل عتبة العنوان قائلا: «يعتبر العنوان عتبة نصية تفتح أفق القراءة، وتزيد من لذة الاكتشاف ومن شبق البحث فالعنوان على اختلاف أنماطه، وتنوع دلالاته ومحدودية ألفاظه علامة لسانية، وشفرة أدبية تخفي أكثر مما تبدي، فهو نص يجعل من التناص آلية تقربه من النص الذي يسميه، ومن التأويل مفتاح لولوج معانيه لذلك فالعنوان إبداع ثان، وخطاب مقصود لا اعتباطية فيه»[2].

وفق هذا التصور سوف نقارب عتبة الديوان منطلقين بالأساس من بنيته التركيبية ووظيفته وعلاقته بمضمون النص الأصلي الذي ورد في صيغة مطولة شعرية تكونت من مجموع خمسة عشر (15) مقطعا في حدود ثمانية وثمانين (88) صفحة. عنون الشاعر عثمان لوصيف منجزه الشعري هذا بـ:"غرداية"؛ ونحويا فإن هذه التسمية هي اسم علم مفرد يحيل دلاليا على حيز جغرافي مكاني صحراوي مرتبط بمدينة لها حضور واقعي بسمات ومواصفات غاية في التميز ومن هنا فإن وظيفة هذا العنوان تحديدا هي وظيفة إشارية من منظور رولان بارت[3] بحيث يكون العنوان علامة من علامات وسم وتمييز النص. ومن المفارقات العجيبة أن يتكرر اسم غرداية[4] مرات داخل المتن الشعري المدروس وهذا التقاطع الكبير يذهب بنا إلى اعتبار العنوان نص أصغر يحيل على النص الأكبر[5] في مقابل ذلك فإن النص هو العنوان ذاته رغم ضآلة حجمه ولكن

1 – زهيرة بولفوس، تجليات الحداثة في مواقف النفري ومخاطباته، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، دورية محكمة تصدرها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر، ع 14، جانفي 2013، ص140و141.

2 – ينظر: دلالات العنوان في المتن الروائي الجزائري مجلة منتدى الأستاذ، دورية أكاديمية دولية تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة، ع 15، جانفي 2015، ص191.

3 – ينظر: محمد بوعزة، من النص إلى العنوان، م. س، ص 413.

4 – ينظر: لندة لبنى، قيمة العنوان في العمل الأدبي: الزمن الأخضر لأبي القاسم سعد الله أنموذجا، مجلة الناص، مجلة علمية محكمة، منشورات جامعة جيجل، ع 15، جوان 2014، ص 148.

5 – المرجع السابق.

بشكل مكبر[1]. هذا التجاذب بين العنوان –الهامش والنص –المركز هو الباعث الذي سوف يجعلنا نقارب هذا الخطاب الشعري وفق منظور المدينة الشخصية كما نظر لها فيليب هامون وغريماس[2] ، وأول ما تحتاجه الشخصية هو الاسم لأنه ضمان الديمومة والحفاظ على الخبر[3]. أما فيما يخص الصفات التفاضلية لمدينة غرداية الشخصية كما وردت في المتن الشعري وفق هذا المنظور النقدي يمكن اختزالها في الأوصاف والملامح التالية: سحر العمارة– الأنوثة – الطفولة – المكان الجامع لعناصر الهوية الجزائرية –مكان التطهر والتذكر والعروج.

إن هذا الديوان –القصيدة – من خلال استقراء متأن رصين سواء للعنوان أم لمحتوى المتن الشعري يشي دون كبير غموض أنه احتفال بالمكان وبالمدينة بامتياز وأنهما محاور أساسية تكررت كتيمات بشكل لافت إلى حد أنها ظاهرة شعرية عرف بها عثمان لوصيف في مساره الإبداعي. ففي ديوان غرداية يستحضر الشاعر سلسلة من الفضاءات الطبيعية من قبيل الصحراء والبساتين وأسماء الجبال مثل الونشريس والأوراس التي لها رمزيتها الثورية في مخيالنا الشعري الجزائري وتكررت بشكل لافت في الشعر الذي احتفى بالثورة بالإضافة إلى ذلك وردت أسماء المدن مثل سطيف وعنابة ووهران والجزائر في البنية الشعرية للنص وهذا الاستحضار المكثف للفضاءات المكانية يتشكل بهذه الصورة لخدمة البعد الوطني الذي كانت له تجلياته على أكثر من مستوى داخل البنية الشعرية.

1 – المرجع السابق، ص 148.

2 – ينظر: طارق ثابث، مقاربات سيميائية للشخصية المدينة –شعر أحمد الطيب معاش أنموذجا، دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع، عنابة الجزائر، ط1، 2014، ص ص43– 49.

3 – المرجع السابق، ص 83

المطلب الثالث: جماليات المكان من خلال عتبة الإهداء

المعمار الشعري الرصين في هذه المدونة الشعرية التي نشتغل عليها هارموني بامتياز خاصة حينما يتعلق الأمر بالعتبات النصية كأنها حقا بنيان مرصوص مشدود بخيط سري يفضي بعضها إلى بعض، وكأننا فعلا نجابه قصيدة عنقودية التي هي: «عبارة عن تركيب خلوي تربطه حزمة واحدة، هذه الحزمة تمثل الحقل الدلالي، ويتفرع منها مجموعة من الخلايا المتتابعة التي تمثل الدوال الملحقة، ويتخلل هذه الخلايا ثغور وفجوات تمنح الخلايا ديناميتها وفاعليتها التي تجعلها تتصاعد وتنمو لترتبط بالحزمة الرئيسية لعالم النص»[1] على حد قول عماد حسيب محمد.

وفق هذا التصور نقارب إشكالية عتبة الإهداء المحطة التي حظيت بمقاربات كثيرة لعل أهمها عربيا مشروع الباحث المصري مصطفى أحمد قنبر الذي أصدر كتابا موسوما بـ: "الإهداء دراسة في خطاب العتبات النصية" الذي قارب فيه الظاهرة بزوايا نظر مختلفة وفي مستوياتها المتعددة وكان من بين المحاور التي توقف عندها الباحث تعداده لمجمل الوظائف سواء كانت رئيسية كالوظيفة الدلالية والتداولية ووظيفة التعيين والوظيفة الوصفية والإغرائية ووظيفة التلميح والإيحاء والأدلجة والتناص والتشاكل والشرح والاختزال وخلق المفارقة والانزياح[2]. هذه الوظائف بمصطلحاتها المتعددة يمكن أن تقدم لنا سلسلة من الإضاءات حول ماهية هذا الخطاب الشعري وسماته الدلالية ومواصفاته الجمالية خاصة فيما يخص علاقة الإهداء بسائر العتبات الأخرى كالغلاف والعنوان والاقتباس أو بالمتن الشعري إجمالا لهذا الديوان.

1 – عماد حسيب محمد، بئار النص قراءات تفكيكية في الشعر الحداثي، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، ط1، سنة 2009، ص231.

2 – ينظر: مصطفى أحمد قنبر، الإهداء دراسة في خطاب العتبات النصية، المركز الديموقراطي، برلين ألمانيا، ط1، سنة 2020، ص:؟

1-الإهداء:

يثبث الشاعر عثمان لوصيف في مستهل الديوان هذا الإهداء في قالب نثري صاغه على النحو التالي: «إلى مفدي زكريا الشاعر الذي غنى الجزائر حيا وميتا..»[1]. البنية اللغوية لهذا الإهداء تنم عن إفضاءات عميقة مفادها أن المهدى إليه شخصية ثقافية نضالية ثورية وازنة بكل ما تحمله الكلمة من معنى كان لها إشعاعها الثقافي والنضالي المشرق شأنه شأن شعراء الإنسانية الآخرين الأفذاذ كلوركا ونيرودا. تكمن قوة هذا الإهداء الإيحائي الذي سوف يتمظهر بتجليات أخرى سنشير إليها في مواضعها في كونه يغير وجهة الاحتفاء بغرداية المكان إلى تمجيد إنسان هذا الفضاء إذ تشير الكثير من المصادر التي حفرت في سيرة الشاعر أن مفدي زكرياء هو أصيل بني يزقن وهي إحدى القرى السبع لغرداية. إن هذا الإهداء كما يبدو للوهلة الأولى ليس توشية أو حلية مجانية وإنما ركيزة أساسية لها نسيجها الحي داخل البنية لهذه -القصيدة- الديوان.

2-علاقة الإهداء بالتصديرات وبالاقتباس:

أ-التصديرات: يُصدر عثمان لوصيف ديوانه بنصوص شعرية وهي تقنية مستحدثة في بنية القصيدة العربية الجديدة لأغراض فنية محضة بحيث ينتقي الشاعر ثلاثة نصوص في صيغة أبيات لكل من أمير الشعراء أحمد شوقي والصوفي أبي بكر الشبلي مرفوقة بنص شعري ثالث لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء يقول فيه:

1 - عثمان لوصيف، غرداية، (ديوان شعري)، دار هومة للنشر، الجزائر العاصمة، 1997، د. ط، ص: 3.

«رسالة الشعر في الدنيا مقدسة

لولا النبوة كان الشعر قرآنا»[1]

ما يهمنا في هذا السياق هو إطلالة وحضور شخص مفدي زكريا من جديد إنسانيا وإبداعيا بحيث تتمدد دائرة هذا الحضور من مستوى ذكر الاسم لتأخذ صبغة أخرى تتمثل في استدعاء خطاب شعري له.

ب-الاقتباس داخل المتن الشعري:

من باب التناص الاجتراري يستحضر عثمان لوصيف مقطعا من إلياذة مفدي زكريا كما هو دون أي تحوير يذكر وهو اللازمة التي تردد صوتها عاليا في الإلياذة:

«شغلنا الورى وملأنا الدنا بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر»[2]

يشير الباحث أحمد ياسين السليماني في كتابه التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر أن ظاهرة الإهداءات والتصديرات والاقتباسات بغض النظر عن أشكالها وصيغ تمظهرها هي من التقاليد والأعراف الفنية التي استنبتت في جسد القصيدة العربية الحديثة جراء الاحتكاك المباشر بالمنجز الغربي وهذه الظاهرة في جوهرها تدل على انفتاح الذات الشاعرة على الآخر إنسانا أو على نصوصه[3] التي شكلت مرجعية وروافد ثقافية له تستدعى بلطف حسب متطلبات حاجة النصوص الجديدة وفق قانون

1 - المرجع السابق، ص:5.

2 - عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص: 70.

3 - ينظر: أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق سوريا، ط1، 2009، ص: 187.

الامتصاص كما تحدث عنه نقاد كثر ومن ضمنهم محمد بنيس[1]. إن امتصاص النصوص الغائبة هو محصلة إعجاب شاعر ما بشخصية أخرى بسبب أقوالها وأفعالها وخطاباتها ومواقفها التي تشكل حقا سلطة مهيمنة باسطة لجناحها تضغط على الحس والوجدان والمخيال بحيث يتعذر معها الفكاك وفك الارتباط معها نفسيا وإبداعيا.

وفق هذا التصور يمكن مقاربة هذه العلاقة الحميمة بين مفدي زكريا وهذه التوأمة الشعرية التي بلغت مداها إلى الحد الذي يجعلنا نتحدث عن تماثل شعري مشترك بين مشروع الرجلين الشعري حد التماهي «فمفدي زكريا اشتغل على تيمة الصحراء ومجدها بكثافة كما أنه استحضر في إلياذته المتميزة بنفسها الطويل تاريخ الجزائر وشخصياتها وفضاءاتها المكانية انطلاقا من مفهوم الخطاب المضاد كما نظر له ريتشارد تيردمان[2] ويقصد به المقاومة الرمزية وتطبيقاتها ضد الكولونيالية التي سعت إلى الاستخفاف بثقافة الشعوب المستعمرة وطمس هويتها.

هذه المواصفات ذاتها التي ميزت الإلياذة هي نفسها تنطبق تماما على ديوان غرداية للشاعر عثمان لوصيف فالمحاور ذاتها تتكرر وتستعاد إلى حد يجعلنا نذهب إلى أن المدونة الشعرية التي نشتغل عليها ونعني بها ديوان "غرداية" هي كتابة مصغرة وإعادة كتابة للإلياذة بشكل آخر في الكثير من جوانبها رغم

1 – ينظر للتوسع في ذلك: رابح بن خوية، الشخصيات التراثية في الشعر الإسلامي المعاصر آليات الاستدعاء ودلالات الاستحضار، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مجلة محكمة تصدرها كلية الآداب والحضارة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية قسنطينة الجزائر، ع14، جانفي 2013، ص:131.

2 – صراح سكينة تلمساني، مظاهر الخطاب المضاد في الأشعار الوطنية الجزائرية: إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء أنموذجا أشغال الأناشيد الوطنية ودورها التعبوي خلال الثورة، 15 و16 ماي2013، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ج2، ص720.

خصوصية بعض التفاصيل التي فرضتها خصوصية التجربة الشعرية الجديدة فالتماثل بين المنجز الشعري السابق واللاحق قائم وقد أشرنا لبعض ملامحه بالتفصيل آنفا.

3-علاقة الإهداء بالنص:

من مكاسب القصيدة الشعرية العربية والجزائرية خصوصا توظيف شخصيات تاريخية أو أدبية[1] أو شخصيات ثقافية تراثية في الخطابات الشعرية لغرض توسيع سبل القول الشعري وضخ دماء جديدة فيه تخرجه من دائرة المعتاد المكرر لهذا حظي مفهوم الاستدعاء أو الاستلهام لهذه الرموز والشخصيات بوقفات خاصة. يقول الباحث محمد بن عبد الله منور عن الاستدعاء: «هو-استيحاء ما هو مخزون ومختمر في نفس الشاعر وذاكرته من معرفة مكتسبة عن الشيء أو الأمر المستلهم عن طريق الإلهام والحدس الشعري وانبجاس ما تكون في الذات الشاعرة من تفاعل بين المخزون المعرفي لدى الشاعر وبين القضايا الحياتية التي يعيشها في واقعه على شكل أفكار ورؤى في نتاج أدبي هو القصيدة الاستلهامية»[2].تأسيسا على هذا المفهوم الإجرائي فإن عثمان لوصيف يستدعي في ديوان غرداية شخصيات تاريخية أنثوية وأخرى ذكورية كبلقيس وربة الشعر وابن باديس والأمير عبد القادر والخضر ومفدي زكرياء وهذا الاستحضار المكثف لهذه الأسماء التاريخية له مبرراته الفكرية والجمالية فهو يندرج ضمن مشروع شعري ضخم قائم بذاته يراهن على استلهام التراث في تشكيل النصوص الشعرية العربية[3].

1 - ينظر: أحمد قيطون، الرمز التراثي في الشعر الجزائري المعاصر، إصدار مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، ادار الرمال، الوادي، ط1، 2016، ص: 166.

2 - محمد بن عبد الله منور، استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث، النادي الأدبي الرياض، ط1، 2007، ص: 18 نقلا عن: رابح بن خوية، الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر، م. س، ص 102.

3 - أحمد قيطون، الرمز التراثي في الشعر الجزائري المعاصر، م. س، ص:75.

ولعل اللافت في توظيف عثمان لوصيف لهذه الشخصيات المنتخبة أنه انحاز لشخصية مفدي زكريا على حساب الشخصيات الأخرى التي اقتصر فيها على عملية التعيين والتسجيل الآلي والسرد التقريري وذلك بتوطين التسمية داخل المتن، بينما وهو يشتغل على الشخصية المذكورة أفاض في ترديد الكثير من السرديات عنها ومن المواصفات الجسدية والمثالية ولم يقتصر الأمر على هذا الحد بل انخرطت الذات الشاعرة الساردة في مناجاة مع الشخصية المستدعاة وهذا الخيار سمح للنص من الخروج من دائرة الغنائية ذات الصوت الواحد إلى فضاء الدرامية جراء تعدد الأصوات، الأمر الذي صبغ المتن الشعري بديناميكية وحركية قوية بحيث «تبدو طريقة بنيته الشخصيات خاضعة لمبدء التدرج إذ غالبا ما تقدم الشخصية كضمير أبيض بلا معنى كشكل فارغ يكتسب معناه تدريجيا»[1].

على هذا النحو يرتقي عثمان لوصيف بشخصية مفدي زكريا عاليا إلى مصاف الرمز والقناع للتعبير عن التجربة الوجدانية المشتركة بينهما. يمكن مقاربة هذا التوظيف لشخصية مفدي زكريا من زاوية ثنائية الغياب والحضور[2] وهي المقولة التي أسالت حبرا كثيرا في مدونة علم النفس واللسانيات والمناهج البنيوية الحديثة ومن ضمنها التفكيكية التي أجمعت على فكرة رصد المسكوت عنه فمن خلال بعض التلميحات الرمزية المكثفة يستشف المتلقي مكايدات مفدي زكرياء في مساره الحياتي، وفي الوقت ذاته تشير هذه التلميحات إلى مقدرات الرجل الشعرية الهائلة ولعل هذه الرسالة هي الرسالة المشفرة التي أراد الشاعر

1 – عاشور فني، الشخصيات في ديوان زهرة الدنيا للشاعر السعيد بوطاجين، مجلة آمال، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، ع 63، شتاء 1995، ص19.

2 – ينظر: أحمد يوسف، شعرية الغياب وجمالية الفراغ الباني، مجلة تجليات الحداثة، يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، ع4، يونيو 1996، ص: 107.

توصيلها في نصه ومحورها أن عبقرية المكان وعجائبيته هي التي ساهمت في تشكيل عبقرية الإنسان في هذه المدينة.

نورد هذا الشاهد لنعزز ما ذهبنا إليه نظريا:

«ألاحق طيف فتى لاح بين الدروب

فتى .... قيل عنه: تحدر من هوس البرق

من وجع كوكبي

ومن حميات الغمام ....

ركضت ...ركضت ألاحق طفلا تضرج بالشعر

ثم توغل في الظلمات العميقة

ووقفت كئيبا...

تهجيت حرفين من لهب قدسي

فهرول نحوي وقال: سلام!

وناديته:

زكرياء!

ناديت:

مفدي

فما نبست شفتاه ...

ولكنه راح يرمقني في سكون!

وكان فقيرا

يشد على بطنه حجرا

كان منكسرا

حافيا...

عاريا...

زاده كلمات

وثروته حفنة من تراب الجزائر

ملت إليه فقبلني

ثم غمس عيني بالشعشعان الإلاهي

أجهش شعرا

وأوحى إليّ بسر المعاني العميقة:

شغلنا الورى وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر»[1]

1 - عثمان لوصيف، غرداية، م. س، الصفحات: 67-68-69-70.

المبحث الثالث:

التشكيل الجمالي والدلالي للمكان

في ديوان غرداية

لعثمان لوصيف

المبحث الثالث: التشكيل الجمالي والدلالي للمكان في ديوان غرداية لعثمان لوصيف

المطلب الأول: تأنيث المكان (الحديث عن المدينة كأنثى)

الشعرية العربية قديمها ومحدثها عبر مسارها التاريخي الطويل ذكورية بامتياز سواء على مستوى الأغراض الشعرية والمناخات أو على مستوى الجماليات فكتب النقد القديمة مكتظة بمصطلحات قوية من قبيل الفحولة والجزالة وما شابه ذلك، لكن انجراف القصيدة الجديدة العربية لرياح الحداثة وطروحاتها قلب الكثير من الموازين والأعراف الشعرية لعل من أبرزها رواج قضايا جديدة على شاكلة تأنيث الخطاب والأنوثة التي شغلت حيزا معتبرا في المدونة الإبداعية والنقدية، خاصة بعد ميلاد ونشأة ما اصطلح عليه نقديا بحركة الأدب النسائي أو النسوي وهو المجال الذي شرع الباب على مصراعيه لمدارسة محور الأنوثة كما هو الحال في كتاب التشكيل الفني في الشعر النسائي الجزائري المعاصر للناقدة رزيقة بوشلقية[1] التي تتحدث عن فكرة الأنثوية والخصوصية البيولوجية أو في كتاب خطاب التأنيث للشاعر الناقد يوسف وغليسي الذي ناقش مصطلح الأنوثة من جهات شتى بحيث اعتبرها هي روح النص النسوي ورحيقه المختوم، هويته الحقيقية[2]، ولهذا نورد المصطلح دون أية عقدة في الدراسة التي أعدتها الناقدة العراقية وجدان الصائغ بعنوان "القصيدة الأنثوية العربية"[3].

يُعرف يوسف وغليسي مصطلح الأنوثة فيقول: «كل ذلك يحيل على الأنثى؛ وهي مشتقة من أنث يأنث بمعنى لان وضعف وتكسر، يقال امرأة أنثى: كامل الأنوثة والأنوثة الليونة، المرأة الأنثى: الكاملة من

1 – ينظر: رزيقة بوشلقية، التشكيل الفني في الشعر النسائي الجزائري المعاصر، دار النشر ميم، الجزائر، ط1، 2015، ص:42.

2 – ينظر: يوسف وغليسي، خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه، منشورات محافظة المهرجان الثقافي الوطني للشعر النسوي قسنطينة، 2008، ص:27.

3 – ينظر دراسة: وجدان الصائغ بعنوان "القصيدة الأنثوية العربية: قراءة في الأنساق، وزارة الثقافة، صنعاء اليمن، 2005.

النساء»[1] .تماشيا مع رواج فكرة الأنوثة وتراكماتها إبداعيا ونقديا في المدونة التراثية والحداثية سوف يتلقف عثمان لوصيف آلية تأنيث المكان إلى حد أنه شكل حالة بل ظاهرة في منجزه الشعري المتعلق بشعرية الأمكنة لديه. يقول محمد الصالح خرفي في كتابه جماليات المكان في الشعر الجزائري عن ظاهرة تأنيث المكان بالذات في ديوان غرداية: الشاعر عثمان لوصيف يجعل من مدينة غرداية الواقعة بالجنوب الجزائري هي الوطن البديل، وصورة المرأة النموذج التي تتجلى في كل المدن الجزائرية من الشرق إلى الغرب، بل هي الجزائر الوطن، فتصبح غرداية الولاية عنده وطنا كليا يختصر كل المسافات ويلغي جميع الحدود لأن الجزائر في الكل واحدة وهي امرأة تجلت في المكان وحلت به مثلما تسمت غرداية على امرأة، فالوطن امرأة شردت الشاعر لها «صفات أسطورية تتقمص كل الرموز وتلبس كل المعاني»[2].

يؤكد الناقد عبد الحميد هيمة الأمر ذاته في كتابه الخطاب الصوفي وآليات التحويل –قراءة في الشعر المغاربي المعاصر بحيث يقول: «يفيد عثمان لوصيف في تجاربه الشعرية من هاجس السفر الروحي، ويتوسل فعل العبور في جسد المرأة لصوغ الكثير من النصوص الشعرية، نذكر منها: «نص غرداية وهو قصيدة مطولة نشرها الشاعر في ديوان واحد يقع في سبعة وثمانين صفحة من الحجم الصغير»[3]. المحصلة من هذه التجربة أن الشاعر يؤنسن المكان والمدينة في الوقت ذاته ويضفي عليهما صفات إنسانية أنثوية.

إن أنسنة الحيوانات والأمكنة خاصة على حد سواء من الظواهر والقيم الجمالية التي شاعت بكثافة في الأدبيات من خلال بعض الآليات التي تحدث عنها الناقد حبيب مونسي في مجزه النقدي ونقصد بها ميكانيزمات محددة كالتشخيص والتجسيم. يقول: «إن التشخيص في أبسط تعريف له يتمثل في خلع الحياة

1 – ينظر: يوسف وغليسي، خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه، م. س، ص: 34.

2 – محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، موفم للنشر، الجزائر، 2014، ص:142.

3 – عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التحويل: قراءة في الشعر المغاربي المعاصر، موفم، الجزائر، 2018، ص:352.

على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية. هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية...تهب لهذه الأشياء عواطف آدمية، وخلجات إنسانية»[1]. يضيف أيضا: «التجسيم في أبسط تقنياته، أن تعمد إلى المعنوي فتلحق به صفة مجسمة، إمعانا في إخراجه من التجريد إلى الحس»[2]. تتمظهر غرداية في هذا الديوان تحديدا بتمظهرات أنثوية متعددة يكشف عنها السياق في مواضع شتى فهي غالبا ما تنعت بنعوت وأوصاف وألقاب شتى فهي امرأة–طفلة قمرية غاية في الحسن تتمتع بمواصفات أنثوية خارقة تسر عيون الناظرين لأنها تتلبس لبوسات عدة فهي فلة ومرجانة وقرنفلة وهي من هذه الزاوية عناصر طبيعية محضة وهذا الانفتاح على الطبيعة ورموزها يؤكد العلاقة الحميمة الكائنة بين الأنوثة والطبيعة في المنظور الصوفي ولعل الشاهد النقدي التالي يؤكد لنا فضل الطبيعة: «تغدو الطبيعة في كثرة أعيانها تكشفا للجوهر الإلاهي أو للنفس الحي المتصور سريانه فيها، وإشراقه في مظاهرها المختلفة ومراياها التي تشع بسر الجمال المنبث فيها»[3]. وهذا ما يؤكده عاطف جودة نصر أيضا بقوله: «ولقد تنوعت رموز الطبيعة في الشعر الصوفي، بين رموز استلهم الصوفية دلالاتها من مدركات وصور حسية تتعلق بالطبيعة الجرداء الهامدة من صخور كابية وجبال باذخة وصحاري شاسعة وربوع عافية وأطلال دارسة، وأخرى استمدوها من الطبيعة عندما تخصب وتهتز وتونع وتربو، كالودق الهامي والندى البارد والبرد المتحبب»[4].

1 – سيد قطب، النقد الأدبي ص61 نقلا عن: حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي: قراءة موضوعاتية جمالية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، ص:52.

2 – حبيب مونسي، شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2011، الجزائر، ص: 125.

3 – وفيق سيليطين، الزمن الأبدي –الشعر الصوفي الزمان الفضاء الرؤيا، دار نون للدراسات والنشر، اللاذقية سوريا، 1979.

4 – عاطف جودة نصر، الرمز الصوفي عند الصوفية، دار الأندلس ودار الكندي، د. ت، ص ص: 306– 199نقلا عبد الحميد هيمة، عن الخطاب الصوفي وآليات التحويل: قراءة في الشعر المغاربي المعاصر، ص:351.

يرتقي عثمان لوصيف بفضاء غرداية– المكان– ويؤسطره حينما يجعله رديف كائنات أنثوية أسطورية أو عجائبية من طينة بلقيس الملكة أو ربة الشعر عند اليونان أو الحوريات والجنيات كما في مخيال الحكايات. يفرط الشاعر في تمجيد الأنثى –المكان– إلى حد يجعلنا نتحدث عما اصطلح عليه نقديا بشعرية الجسد بمرادفاته الأخرى من قبيل الجسم والبدن. فالجسد كما يورد العربي ميلود هو «التيمة التي اشتغل عليها الفكر الفلسفي والنقد الأدبي مطولا بمستويات متعددة ولعل هذه الاقتباسات التي نوردها على سبيل الاستئناس تؤكد صحة ما ذهبنا إليه فديكارت مثلا يرى أن الجسد هو: كل ما يمكن أن يحده شكل، هو كل ما يمكن أن يتحيز فيحتويه مكان»[1].

ويشير عباس يوسف الحداد للجسد أيضا وعلاقته بالمكان فيقول: «وأول كينونة مكانية عرفها الإنسان هي جسده بوصفه مكانا وجلبابا يقوم فيه ويتحيز له، وقد سيطر الجسد على الإنسان وأخضعه لرغباته ونزواته فسعى الإنسان من خلال سلوكه في طريق الحق والحقيقة إلى تجاوز هذه الرغبات والنزوات والشهوات تجاوزا يفضي إلى تجاوز الإنسان لسلطة المكان والخروج عن سطوته، والخروج من نير عبوديته»[2].

وبالعودة إلى المتن المدروس استرعى انتباهنا ترديد معجم شعري باذخ شديد الصلة بأعضاء الأنوثة وتحديدا الوجه والعيون والأحداق والشعر والجدائل ناهيك عن استعارة الشاعر لكل مسميات البيئة على اختلاف أصنافها من كواكب ونبات وحيوانات وعناصر ميثولوجيه وشعرية وذلك لغرض تضخيم صورة جسد

1 – العربي ميلود، تشريح وحفريات في مفهوم الجسد، مجلة لوغوس، سداسية محكمة تصدر عن مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها، جامعة تلمسان، ع2، فيفري 2014، ص: 182.

2 – عباس يوسف، الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، الحداد دار الحوارال، ط1، السنة 2005، اللاذقية سوريا، ص: 131.

الأنثى. أما فيما يخص كيفية الحضور فإن الشاعر الناقد التونسي نصر علي سامي يقدم لنا تصورا رصينا يشرح لنا فيه كيفية حضور الجسد في الخطابات الشعرية، يقول: «الجسد يصبح شفافا وتمتد شفافيته لتشمل كامل الوجود فيغذو الجسد مرآة للعالم الكبرى التي نبصر من خلال فضائها العميق المجهول حدود صفاء الكون ونخترق عالم المجهول فينبجس من خلالها نور الحقيقة»[1]. هناك مقاطع شعرية كثيرة نستعرضها في هذا المقام تؤيد ما ذهبنا إليه آنفا.

يقول عثمان لوصيف:

«آه! غردايةَ الغار ...والنار

يا امرأة تستحم بسحر الجنوب

وتعبق بالسحر والصلوات علميني قراءة الوجود بعينيك»[2]

ويقول في موضع آخر:

«أية جنية شملتني بأردانها

فاحتواني النعاس البهي؟» [3]

ويقول أيضاً:

«طفلة قمرية...

1 – نصر علي سامي، الجسد في شعر محمود درويش: الأيروس والتاناتوس، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط1، 2015، ص: 63.

2 – عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص: 13.

3 – المرجع السابق، ص: 17.

ترتدي سعفا وخلاخيل من نرجس»[1]

ويقول:

«قيل مرجانة تتشظى

قرنفلة تتلظى

زبرجدة.... زخة من لحون قيل قديسة تتعرى»[2]

ثم يقول:

«تغفو المدينة في حجر ميزاب

محلولة الشعر

مغمضة مقلتيها على دمعة .... وشفق»[3]

المطلب الثاني: البعد الروحي والتجليات الصوفية العرفانية في ديوان غرداية

عادة ما تتكئ البنيوية التكوينية على بعض البهارات الخارجية الاجتماعية أو الثقافية في مقاربة النصوص الأدبية مخالفة بذلك بعض المناهج الحداثية المغالية التي تدرس المتن الشعري خاصة في بنيته المغلقة وفق تصورات إجرائية صارمة لها خلفيات فكرية وجمالية. وفق هذا التصور فقد قادنا الحفر في سيرة الشاعر عثمان لوصيف أنه تمتع بثقافة تراثية رصينة كان التصوف أحد روافدها الأساسية بكل هواجسه ومطلقاته الفكرية والجمالية ناهيك على انفتاح الرجل على التيارات الحداثية الغربية فقد أعد أطروحة جامعية

1 – المرجع السابق، ص: 22.

2 – عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص: 30.

3 – عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص: 62.

عن آرثر رامبو أحد الأسماء السوريالية الوازنة في الشعرية الإنسانية المعاصرة، هذه المؤثرات الثقافية لدى الشاعر سواء كانت صوفية أو سوريالية تسللت لديوان غرداية وفرضت منطقها وبالتالي وجدت معادلها الإبداعي في تشكيل هذه العوالم الروحانية والنفحات الصوفية العالية النبرة من خلال الشطحات المتتالية والتلويحات الخمرية بثقل حمولتها الرمزية الدالة على الانتشاء والامتلاء ومن خلال الإبحار في الما وراء الميتافيزيقي بهدي من الحدس والكشف الصوفي بعيدا عن صلابة العقل وتزمته وسلطانه لهذا أبدعت الذات الشاعرة وهي منخرطة في العملية الإبداعية صورا شعرية طازجة غير معقولة بمسحة سوريالية شفافة لا علاقة لها بالصور الحسية المستهلكة المكرورة المعتادة بل إنها صور تخييلية عجائبية فنتازية يكتنفها غموض شفاف فني غير مستغلق في شكل شذرات تخدم استراتيجية الكتابة بإشراقاتها الروحانية سواء بتأنيث المكان أومن خلال الهجرة إلى الله تحت مسميات أخرى كما في العرف الصوفي من قبيل العروج والارتقاء.

هكذا يصبح الشعر حالة من الحالات الوجدانية وهذا ما نستشفه في هذا المقتطف: «الشعر بطاقته التخييلية هو أداة لتكسير المكان، جمود المكان، وبعده المتشيء وجعله ذاتا حوارية ناطقة تجنب بداءات الكائن الشعري وتحفزه على المساءلة الجوهرية للوجود»[1]. بقي أن نثبث هذه التلويحات الصوفية بحكم أنها تشكل ثقلا مركزيا لا يستهان به وذلك لنخرج من دائرة المقاربة النظرية إلى فضاء المقاربة النصية. يقول عثمان لوصيف:

«طفلة من بنات المعاني الخفية

أقرأتني البراءات والحب مدت إليه المخمليه

1 – عبد العزيز بومسهولي، الشعر الوجود والزمان رؤية فلسفية للشعر، دار إفريقيا الشرق المغرب، ط1، 2002، ص:25 نقلا عن عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التحويل: قراءة في الشعر المغاربي المعاصر، م. س، ص: 353.

وسقتني أباريق من خمرة بابليه»[1]

ويقول أيضاً:

«آه ...عينان صوفيتان

ووجه كوجه النبوة

ينضح نورا وعذرية

قلت: من هذه النمرة الآدمية

وسجدت .... فقالوا جنوبية من بنات الجزائر الديوان

أتوحد في خفق من جناح وفي ومضة من رنين

أتوحد بالزقزقات وبالصبية اللاعبين

أتوحد بالذهب المترقرق عند المغيب

وبالليل ينثال فيروزا ...وحنين

أتوحد...حتى أصير أنا البرق والهيمنات

أنا السحر والغمغمات»[2]

وأيضاً:

«أحدس أني أرى...

1 – عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص: 23.

2 – المرجع السابق، ص: 32

غبشات تشف

معارج تبسط لي

نجمة تبتسم لي مغرية بالهوى

درج...ثم هاج عليّ الحنان الإلاهي

إني أصعد ...أصعد

خيط من السهو يرفعني

نحو برج التراويح...والسدة العالية»[1]

المطلب الثالث: المكان وجماليات التناص

تقدم سلاف بوحراثي دراسة مستفيضة محاورها في خطوطها العريضة شديدة الصلة بمفهوم التناص كما نظر له أساطين النقد في الغرب والشرق على شاكلة باختين وجوليا كريستيفا ورولان بارث وجيرار جنيت وعبد الله الغذامي ومحمد بنيس بحيث استعرضت ميلاد المصطلح ونشأته وتعدد مسمياته وتحولات مساراته ناهيك عن أنماطه وتمظهراته وآليات اشتغاله وتجلياته داخل المتن الشعري[2]. التناص عند جوليا كريستيفا هو: «حوار النصوص أو امتصاص لها على أساس من انعكاس واحد أو مجموعة من الأصول الثقافية أو أنه

1 – عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص ص: 35–36.

2 – ينظر: سلاف بوحراثي، التناص وتجليات الأسلوب في رسائل الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، دورية علمية محكمة تصدرها كلية الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة الجزائر، العدد 19، جويلية 2016، ص ص: 123–124.

ترحال للنصوص ففي فضاء النص تتقاطع وتتلاقى ملفوظات عديدة متقطعة مع نصوص أخرى»[1]. يقترب هذا الموقف من رأي رولان بارث: «إن كل نص هو نسيج من الاقتباسات والمرجعيات والأصداء، وهذه لغات ثقافية قديمة وحديثة...وكل نص –الذي هو تناص مع نص آخر– ينتمي إلى التناص»[2]. في السياق ذاته يردد النقاد العرب الحداثيون الدلالات نفسها لكن بتلوينات أخرى في الصياغة كما نلمسه عند الباحث الجزائري عثمان رواق الذي يقدم تعريفا مماثلا للتناص فيقول:

«يدور مفهوم التناص في فلك العلاقة التي يمكن أن تربط نصا حاضرا بنص غائب فهو مجموعة العلاقات التي تربط نصا أدبيا بصفة خاصة بنص آخر أو نصوص أخرى في مستوى إبداعه، وهو شبكة من الأفكار والخطابات والموضوعات الثقافية التي تدخل في تفاعل مع أثر أدبي ما، وهو العلاقة التي يوجدها موضوع الخطاب بين النصوص المتحاورة فيما بينها والتي يعاد تركيبها من خلال الموضوع، حيث لا يقتضي التناص وجود معنى نهائي بل يقتضي التعدد اللانهائي، وهو امتصاص وتشرب وتحويل لنصوص كثيرة، وهو الفسيفساء المتعددة من نصوص وبقايا النصوص في نص ما[3].

1 – عزة شبل محمد، علم لغة النص –النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، السنة 2009، ص:76 نقلا عن سلاف بوحراثي، التناص وتجليات الأسلوب، م. س، ص: 125.

2 – نبيل علي حسين، التناص في شعر النقائض (دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض جرير والفرزدق وجرير والأخطل)، دار كنوز، عمان الأردن، ط1، السنة 2010، ص:40 نقلا عن سلاف بوحراثي، التناص وتجليات الأسلوب، م. س، ص:127.

3 – عثمان رواق، التناص التاريخي في الرواية الجزائرية (بين الرؤية التقديسية وإعادة القراءة)، مجلة منتدى الأستاذ، دورية أكاديمية دولية محكمة تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة، ع14، جانفي 2014، ص:181.

-حضور التناص في ديوان غرداية:

ديوان غرداية مليء بالتناصات الشعرية والقرآنية والثقافية الظاهرة أحيانا والخفية في أوقات أخرى، ونظرا لسعتها يتعذر مقاربتها كليا لهذا سوف نقتصر على التناصات التي لها علاقة بمحور المكان موضوع بحثنا

-التناص مع محور غرداية في الشعر الجزائري:

وجدت غرداية معادلها الإبداعي في المدونة الشعرية الجزائرية المعاصرة بحيث يمكن أن نتحدث عن تلاقي تناص بين خطاباتها على مستوى الاشتغال على التيمة الواحدة المشتركة وهذا ما أشار إليه الدرس النقدي الذي قارب شعرية الأمكنة الجزائرية. نستعرض في هذا المقام بعض الشواهد النقدية التي من شأنها أن توضح لنا بدقة صورة الاحتفال بغرداية ونستهلها بما ذكره الناقد إبراهيم رماني: «منطقة وادي ميزاب مجمع عمراني وسكاني، مركز إصلاحي ومنبر ثقافي، وواحة ساحرة. ولا شك أن لأبي اليقظان فيها ذكريات طفولية ملتهبة، وأحلاما ذاتية زاهية، وتجارب وانفعالات مكثفة، فضلا عن كونها مثارا لوعي تاريخي وحضاري متميز قد يجعل من هذه المنطقة مكانا خاصا في ذاته، وصورة هامة في شعره»[1]. يثبت الدارس نماذج من شعر الرجل عن غرداية منها نصه المعنون بنشيد ميزاب الوطني، ويذكر في هامش نبوغ هذا الشاعر في كتابة قصائد عن الطبيعة وفق ما أشار له محمد ناصر[2]. المقتطف الثاني الذي نورده هنا هو للناقد محمد الصالح خرفي حين يقول: «إذ لا نجد كثيرا من الشعراء اهتموا بمكان واحد كتبوا فيه قصائد عديدة مثلما نجده عند

1 - إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائر أنموذجا 1925-1962، ص:107.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 107.

الشاعر صالح خرفي، الذي جعل جزءا كبيرا من ديوانه: من أعماق الصحراء في الحديث عن ولاية غرداية وقراها السبع»[1].

تتقاطع تجارب هؤلاء الشعراء الذين أنجبتهم غرداية مع أجواء الديوان المدروس، فالمحاور تقريبا ذاتها وتدور في فلك واحد هو التغزل بمكان محدد وبطبيعته المذهلة في أبهى تجليتاها.

-التناص مع موضوعة الطلل:

يشير الباحث حبيب مونسي في كتابه فلسفة المكان في الشعر العربي إلى فكرة غاية في الأهمية مفادها أن الشعر العربي الحديث استعاد موضوعة الطلل وهي العرف الجمالي الضارب في الجذور؛ واستنبتها في بنية المتن الجديد كما نلمسها في نماذج شعرية كوقفة عمر أبوريشة على طلل روماني، ووقفة إلياس أبي شبكة على أطلال صور[2] ويبرر الباحث هذا الحضور أن المدينة نفسها هي التي أعادت تشكيل الطلل في المنجز الشعري العربي الحديث[3].

يتلقف الشاعر عثمان لوصيف ببراعة فكرة الطلل ويمتصها امتصاصا ذكيا مذهلا، ويعيد تشكيلها بلغة سوريالية صوفية شفافة رامزة استعارية، بحيث تبحر الذات الشاعرة في ذاكرة المكان العريق؛ وتنبش في تراب كل التفاصيل الصغيرة التي أحاطت به؛ لتظهرها للوجود من جديد كما كانت غضة فتية غير ملوثة. يتساءل الشاعر عن الموجودات والكائنات البشرية الغائبة التي أثثت هذا الفضاء الاستثنائي في حقبة ساحقة والتي اندثرت بفعل الزمن وبقي أثرها شاهدا على وجودها وهذه الاستعادة للطلل مبررة فنيا فالنص في مجمله

1 – محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، م. س، ص:38.

2 – ينظر: حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، ص:31.

3 – المرجع السابق، ص: 30.

رحلة شعرية صوفية فعادة ما يكون الوقوف على الطلل هو المحطة الأولى في انطلاق فعل الرحلة بما فيها من مكابدات الذات الراغبة في معانقة المطلق. يقول عثمان لوصيف:

«تترائى الرصائص مرصوفة

طبقات من الطين والكائنات الدقيقة

بعض الصدوع النتوءات منعرجات المياه البدائية

الرمل ... والأكمان التي تتكوم منهكة من سهادٍ

وتسهر مثل التهاويل أو ديناصورات عصر غبرْ»[1]

إلى أن يقول:

«هندسات خرافية

حفر نكشتها الرياح

براثن منشبة في الثرى...

وخرائط شرس فيها المطر»[2]

ثم يقول:

«وخيام تخوض في التيه نحو البعيد البعيد

ومضيت .... مضيت هنا جرف هجرته الطيور

1 – عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص: 7.

2 – عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص: 8.

هنا شجر ميت وجراحات ورد تحجّر ثم اندثرْ

وتلمست أنسجة الصخر

أسأل عن ذرة نحتتها الأعاصير

عن طينة رسبتها المياه القديمة

عن مهج أمس كانت تموج هباء دقيقا ولا تستقر»[1]

ويقول:

«آه ...من مزج الماء بالنار في عنصر شبقي

وصاغ من الطين حنجرة...ووتر»[2]

-التناص مع النصوص غير المكتوبة:

التناص كما ترسخ في الأدبيات يكون بين نص وآخر مكتوب لكن رغم هذه الصيغة المشهورة فإن التناص يمكن أن يتجسد بصيغ أخرى كأن يكون التناص مع نصوص غير مكتوبة أصلا أي سرديات شفوية تستعاد بتحويلها من مرويات وقد أطلق الناقد أحمد يوسف على هذه الخطابات غير المكتوبة نعت "الخطاب المتبدد"، بحيث قاربه باستفاضة قائلا: «هو نص غير مكتوب، لكنه يفرض حضوره، لكونه محرضا على الكتابة، إنه يحيل على العلامة المقموعة أو الدال المسكوت عنه، ويمكن استكشافه عن طريق أنظمة الخطاب، وقوانين تشكيله، بمستوياته الصوتية والتركيبية والمورفولوجية والمعجمية والدلالية. إن الخطاب

1 - المرجع السابق، ص: 9.

2 - عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص: 10.

المتبدد يشغل فضاءا واسعا في معمار الكتابة الشعرية، داخلها، وخارجها ذلك ما نلامسه في جدارية الخطاب الشعري»[1].

كما أن التناص يمكن أن يتمظهر بصيغ وقوالب أخرى كأن يتناص نص الناص مع لوحة تشكيلية أو مقطوعة موسيقية، وهو الشكل الذي أقره رولان بارت على اعتبار أن هذه الأشكال والصيغ الفنية هي الأخرى يمكن أن ننظر إليها أنها نصوص[2] رغم بعض الاعتراضات الوجيهة التي تقر بوجود علاقة بين العمل الشعري والعمل الفني لكن على أساس أنها سيميائية وليست تناصية[3]، علما أن سلسلة من السنفونيات الشهيرة مثل سنفونية الجن لسيزار فرنك فقد استوحاها من ديوان الشرقيات لجوته وسنفونية العطور تحوم في أجواء المساء أخذها دو بوسي من قصيدة إيقاعات المساء لشارل بودلير والشيء نفسه يمكن أن نمثل له عن علاقة الشعر بالفن التشكيلي بقصيدة تذكرة إلى ويستلار، وهي قراءة فيها توصيفات للوحة هذا الفنان[4] وقد تحدثت الناقدة اللبنانية كلود عبيد في كتابها جمالية الصورة –في جدلية بين الفن التشكيلي والشعر باستفاضة عن البعد البصري في الشعر وحدود التلاقي بينه وبين الفن التشكيلي ومن أهم المحاور التي طرحتها توظيف اللون في الشعر والقصيدة اللوحة واللوحة القصيدة فكرة الأدباء الرسامون[5]. وعلى ضوء هذه الطروحات النظرية سوف نحاول أن نقارب ظاهرة التناص خاصة تلك التي لها علاقة بجمالية المكان.

1 – أحمد يوسف، شعرية الغياب وجمالية الفراغ الباني، مجلة تجليات الحداثة، ص ص:118 –119.

2 – ينظر: عيساني بلقاسم، آسيا جبار بين التناص والعلاقات السيميائية، أشغال الملتقى العالمي حول تجربة الكتابة لدى آسيا جبار، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة تيزي وزو، دار الأمل تيزي وزو، 2015، ص: 126.

3 – المرجع السابق، ص: 126.

4 – المرجع السابق، ص ص:132 –133.

5 – ينظر: كلود عبيد، جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، دار النشر المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 2011، ص ص133 –143–161.

- النصوص غير المكتوبة:

-<u>النص الأول:</u>

«أتذكر فردوسي المتلألئ خلف

الدياجير ...ماء المشيمة ... صيحة

ميلاد هذي الأنا.. والشعاع

النبي»[1].

-<u>النص الثاني:</u>

«أتذكر غفوي في حجر أمي..

تهدهدني ريشتان حريريتان

فأغرق في حُلمٍ أزرقٍ.. ثم أصحو

أعُضُّ يدا من ندىً.. وأداعب

ثديا سخيْ»[2].

<u>النص الثالث:</u>

«أتذكر أجنحة الضوء تخفق عابقة

1 - عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص: 47.

2 - المرجع السابق، ص ص: 47-48.

بالأغاريد.. أحلامي الغابرات

وكيف ركضت وراء العصافير...

أو طرت بين النجوم ملاكاً بهيْ»[1].

-النص الرابع:

«أتذكر عرس ختاني تضمخني

نسوة الحي بالزغردات ...

ثغاءات عنزتنا

وشعاعات قِنديلنا القرويْ»[2].

النص الخامس:

«أتذكر أول بيت من الشعر نورٌ

في شفتيّ...وأول قاتلةٍ رَشَقَتْنِي

بأهدابها فانكفأت إلى الدار

والنخلات. بلحن شجيْ»[3]

-النص السادس:

---

1 - المرجع السابق، ص: 48.

2 - المرجع السابق، ص ص: 48-49.

3 - المرجع السابق، ص: 49.

«أتذكر شبّابة لأبي غمّستني

بأوجاعها...هسهسات المواقد

عطر الرغيف. حكايات أمي

عن الجن والغول والعالم الأخروي»[1].

هذه المقاطع السّت برمتها تتأسس على فعل التذكر وهو بنية لها علاقة وطيدة بشعرية الطلل التي تشغل حيزا معتبرا في هذه المدونة الشعرية فالذات الشاعرة هنا تستحضر كل معاني الطفولة وتفاصيلها المشرقة وكأنها تكتب سيرتها بعدما كتبت سيرة المكان البهي الذي كان هو الحافز والمثير في إيقاظ حالة النوستالجيا المخبوءة هناك في اللاوعي فالتلازم قائم بين سحر المكان غرداية وروعته وبين عوالم الطفولة البهية التي ترسخت في المخيال نصوصا شفوية غير مكتوبة طغت إلى السطح مع هذا التدفق الشعري.

-غرداية اللوحة الفنية

الواقعية الساحرة:

إن فعل التلقي لديوان غرداية يكشف لنا حقيقة ساطعة مفادها أن عثمان لوصيف قد يكون من طينة الشعراء الرسامين الذين عرفتهم الإنسانية على شاكلة جبران خليل جبران أو فيكتور هيغو وغيرهما وأن هذا الشاعر الفذ كان يمتلك في حدود ما تؤكده الشواهد الشعرية ثقافة بصرية رصينة تعززت بفضل صلته الروحية مع آرثر رامبو أحد أعمدة المدرسة السوريالية، وهي المدرسة التي قلبت الموازين وأخلطت الأوراق فقد: «كانت السريالية دعوة لإطلاق روح الإنسان من إسارها الطويل في قيود المنطق والعقل والنظام والانسجام والشكلية

1 - عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص ص: 49-50.

والجمود والاعتياد والألفة مع الواقع والحياة والعمل والأهل والمجتمع كله. فهي تنكر الواقع، لتراه وراء الأحلام والأشباح، وعندما تجنح إلى الخيال، فإنها تبتعد عن مراقبة العقل، وبذلك يكون للفنان التأثير الأقوى على الكائنات. فقد أعلت من شأن اللاعقل في مقابل العقل، أي تلك القوى الحدسية الإلهامية الإشراقية التي يحكمها المنطق المعروف، والقادرة على توسيع عدسات البصيرة والكشف إلى أقصى مدى من خلال إعطاء أهمية قصوى للعالم الحلم وما يحتويه»[1].

المهم في المسألة هو هذه التوأمة القديمة الجديدة بين الشعر والفن التشكيلي والتي غالبا ما تختزلها عبارة سيمونديس الكيوسي والتي تدور في فلك أن الشعر صورة ناطقة أو رسم ناطق وأن الرسم أو فن التصوير شعر صامت[2]. تنطبق هذه المقولة على ديوان غرداية بامتياز ولا نستبعد بتاتا أن الشاعر عثمان لوصيف يتناص مع فضاء غرداية على اعتبار أنه لوحة فنية واقعية بامتياز ألقت بظلالها على تشكيل هذا الخطاب الشعري وحكمنا هذا يستند بالأساس أولا إلى طبيعة المعجم الشعري المستعار من حقل الفن التشكيلي من قبيل: اللون –هندسات –أيقونة –أزرق –بياض –أخضر. اللافت للنظر هو هذا الحضور المكثف لشعرية اللون التي تتناص مع شعرية اللون في المنجز الغربي والعربي القديم وهذا ما تؤكده كلود عبيد بقولها: «وامتلأ شعر بول فاليري وإدغار ألان بو بمعجم لكل الألوان وشاع الأخضر عند غارسيا لوركا فكان هذا اللون يشكل ركنا جوهريا في شعره»[3].تضيف أيضا:

«وقد استخدم قدامى الشعراء العرب هذا النمط في الأغلب، فجعلوا الأبيض للجمال والثقافة والسلام، والأصفر للإرادة والمجد والثروة، والأحمر للسعادة الفرح، والأسود للهدم والمقاومة والعنف والأخضر للبعث

1 – كلود عبيد، جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، م. س، ص ص44 –45.
2 – ينظر: كلود عبيد، جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، م. س، ص:11.
3 – المرجع السابق، ص136.

والنهضة»[1].يتعامل الشاعر عثمان لوصيف شعريا مع غرداية اللوحة الفنية الواقعية وفق نظرية المحاكاة كما اشتغل عليها أرسطو: إن المحاكاة عند أرسطو هي محاكاة انتقائية، خلاقة تعبر عن الكلي بحق في التجربة البشرية ولا تكتفي بالترديد الحرفي للمجرى المألوف للتجربة. فالفن لا يقلد الظواهر الخارجية فقط؛ بل يصل بتقليده إلى جوهر الطبيعة، وينفذ إلى المثل العليا للأشياء التي يقلدها، فالتقليد إخراج فني للطبيعة وليس مجرد نسخ أمين للظواهر الطبيعية[2].

تأسيسا على هذا النمط الحي للمحاكاة فإن ديوان "غرداية" يؤسس عوالمه الشعرية على بلاغة الكتابة المشهدية التي يتحدث عنها الناقد حبيب مونسي قائلاً: «قد يحيل اصطلاح المشهد –ابتداء–على الفن المسرحي بصفة خاصة، والفلكلور بصفة عامة. بيد أن المشهد وإن أخذ نعته من المشاهدة والمشاهد، فإنه يرفع إلى العين مقطعا من الدفق الحياتي، محدودا في إحداثيات الزمان والمكان. له من الاستقلالية النسبية ما يجعله مستقلا عن الحركة المستمرة التي تكتنفه، لاكتنازه معنى معينا، يمكن اعتباره منتهيا...أي له بدايته ونهايته وهي والخاصية التي تمكننا من عزله عن التيار الدافق للحياة، وإخراجه بجميع ملابساته، دون أن يفقد توتراته، وحرارته الخاصة. الأمر الذي يسعفنا في تمليه، واستعادته على مهل»[3] . مقاطع الديوان كلها لوحات شعرية نمثل لها فقط بهذه العينة:

«...هومت بين بساتين زرقاء

هفهافة الظل

بين عرائس ماء يُسرّحن فوضى جدائلهن

1 – المرجع السابق، ص 136.

2 – ينظر: المرجع السابق، ص 13.

3 – حبيب مونسي، شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 03.

ويغمسن في الشمس فاتحة العشق

ثم يَنَمْنَ على سُرُرٍ من تعاويذَ...

كان الأصيل ينث رذاذ الأشعة بين ذراعيّ

والسعفات التي تتأرجح في اللازورد

يعانقني عطرها الشبقيّ

فأغرق في غيمة من ذهول

أثيرية الخلجات وأحلم ...»[1]

1 – عثمان لوصيف، غرداية، م. س، ص ص: 16-17.

الخاتمة

الخاتمة:

يُعد البحث في عالم الأدب عامة والشعر بخاصة واسعاً وعميقاً ومتشعباً، ومهما قدم الباحث فإنه لا يشعر دائما بالاكتفاء، بل العكس من ذلك، كلما تقدمت به صفحات البحث إلا وزاده ذلك رغبة في المزيد إلى إظهار حقيقة الأشياء ودوافعها، ولقد كان الغوص في دروب هذا البحث على قدر كبير من المتعة والجمال بين تضاريس الشعر الجزائري بمختلف مستوياته التعبيرية، أمكن لنا الوقوف على المكانة الرمزية والجمالية التي احتلتها مدينة غرداية في الشعر الجزائري، سواء في الشعر الفصيح أو الشعبي أو البربري.

حيث شكلت المدينة فضاء غنيا بالدلالات والانتماء والحنين، ومجالا خصبا لتجليات الهوية والروح والانتماء الحضاري،

لقد أولينا عناية قصوى للجهاز المفاهيمي الذي اعتمدنا عليه في مقاربة ديوان غرداية للشاعر الراحل عثمان لوصيف وخصصنا له وقفات معتبرة فهو المدار الأول الذي يسعفنا أولا في تمثل الخطاب الشعري وتفكيك شفراته وتبيان طرائق تشكله فبدونه لا يستقيم الأمر ومن هنا كانت الانطلاقة مع مفهوم العتبات النصية وتفريعاته المختلفة كالغلاف والعنوان والإهداء والاقتباس والتصديرات التي تناغمت فيما بينها حد التطابق كأنها سمفونية متماسكة تشير كلها إلى ظاهرة جمالية المكان وهي التيمة –الهاجس التي اشتغل عليها هذا المتن الشعري من ألفه إلى يائه، وإلى جانب مصطلح العتبات النصية استأنسنا بمفاهيم أخرى كثيرة فرضها علينا منطق البحث من قبيل مصطلح التشكيل الطباعي والاستدعاء والأنوثة والخطاب المضاد والتناص وشعرية الجسد وشعرية اللون والمحاكاة وشعرية المشهد وكلها كانت مسخرة للاشتغال على الظاهرة المرصودة.

إن بناء هذا الديوان حلزوني متشابك كأنه حلقة دائرية بعضه يفضي إلى بعض؛ دون قطائع بل إنه يتسم بالثراء الدلالي والجمالي، وفيه انزياحات كشفت عن تحويلات مفصلية، انطلقت من نقطة فكرة الطلل لترتفع بالمكان عاليا عبر تأنيثه واستغلال المقدرات الأنثوية بكل طاقاتها الحيوية الهائلة خاصة محور الجسد الأنثوي وما يحمله من دلالات رمزية إنسانية بل إن الذات الشاعرة أسطرت المكان فارتقى إلى مصاف الأسطورة، ولعل هذا الخيار الشعري هو الباعث على تفشي تلك الأجواء الروحانية التي غلفت الخطاب الشعري بمسحة صوفية مائزة؛ تجلت من خلال استعارة معجم صوفي محض مشاع في التجربة الصوفية.

أما المحطة الأخيرة فقد كانت لمقاربة ظاهرة التناص الخفية خاصة تلك التي لها علاقة بالظاهرة المكانية من قبيل فكرة الطلل ومعاني الطفولة وتجلياتها؛ وهي من إفرازات الاشتغال على تيمة المكان وثمارها. ولعل أهم ما تستخلصه المقاربة أن ديوان غرداية لعثمان لوصيف يندرج ضمن غرض الرحلة الشعرية، أراد صاحبه أن يكتب سيرة المكان وسيرة الذات الشاعرة لتلازم المسارين؛ وقد نجح إلى حد كبير في إبراز جماليات المكان؛ وفي تسليط الضوء على جوانب من تجربته الذاتية في تفاعله الإيجابي مع هذا الحيز الجغرافي الرائع؛ فقد كان هذا المكان هو البديل الذي ينشد فيه الشاعر الصفاء الروحي بكل ما تحمله الكلمة من دلالة. عموما فإن الشاعر عثمان لوصيف في ديوان غرداية لا يتعامل مع المكان في سكونيته أو جغرافيته الضيقة المحدودة؛ وإنما تعاملت معه الذات الشاعرة على اعتبار أنه حالة شعرية وجدانية مرتبطة بالأحبة من الكائنات البشرية؛ التي عملت على إثرائه بفيضها الروحي المائز. إن قضايا كثيرة تظل مؤجلة جراء ثراء ديوان غرداية منها مثلا اشتغاله على فن العمارة التي لها علاقة وطيدة بالشعر وجمالياته؛ والديوان المدروس فيه خيوط خفية تؤكد هذه العلاقة؛ ولقد أثَّرت عمارة المكان دون شك على بنية النص الشعرية، خاصة فيما يتعلق بمبدإ الفراغ والبياض في النص وجمالية التدوير الإيقاعي الذي يدل على الامتلاء. وأيضا

بعد التعب والتعمق في موضوع غرداية المدينة في الشعر الجزائري، ووفق خطة البحث توصلنا إلى جملة من النتائج نرى أنها تعكس مدى الحضور الوجداني والجمالي لمدينة غرداية في المتخيل الشعري الجزائري بصفة عامة؛ وفي ديوان "غرداية" لعثمان لوصيف بصفة خاصة.

ومن تلك النتائج نذكر ما يلي:

- في الشعر الفصيح، برزت غرداية كرمز للهوية والبعد الوطني والحضاري، إذ استخدمها الشعراء كخلفية لاستحضار القيم التراثية والاجتماعية والتاريخية التي تعبر عن عمق الجزائر الثقافي والروحي.
- في الشعر الشعبي الملحون، تجسدت غرداية كمدينة يومية نابضة بالحياة؛ حيث عبر الشعراء عن علاقتهم بها بعفوية وبعد وجداني من خلال تصوير تفاصيلها المعمارية والاجتماعية الحية.
- أما في الشعر الأمازيغي فقد اتخذت غرداية بعدا رمزيا يعكس التواصل بين الأمازيغية كمكون ثقافي والمدينة كمجال للهوية والانتماء، مما يدل على انفتاح المدينة على مختلف التعبيرات الثقافية الجزائرية.
- تناول الشاعر غرداية كأنثى مما أعطى المدينة بعداً حياً وجمالياً، يُحيل إلى مفاهيم الحياة والدفء، وهو ما يعزز التقمص بين المدينة والذات الشاعرة.
- حمل الديوان أبعادا صوفية وعرفانية واضحة، حيث تجلت غرداية كفضاء للصفاء والتأمل وتحولت الى روحية تلتقي فيها التجربة الشعرية بالتصوف الجزائري العميق.
- تميز النص الشعري عند الشاعر بتوظيفه التناص بشكل لافت، مما أغنى المعجم الشعري، ومنح غرداية أبعادا إضافية تتجاوز الحدود المكانية الى أفق فكري وثقافي أوسع.

في المجمل أثبتت الدراسة أن المكان الشعري في التجربة الجزائرية، وخاصة غرداية، ليس مجرد خلفية وصفية بل هو عنصر بنيوي في تشكيل المعنى والرؤية الشعرية ويعبر عن جدلية العلاقة بين الإنسان والمكان في بعدها التاريخي والروحي.

ويبقى المجال مفتوحا أمام الدارسين والباحثين للاهتمام بالدراسات الأدبية والجغرافية التي تدرس علاقة الأدب بالمكان، خصوصا المدن التاريخية مثل غرداية، لفهم أعمق لتفاعل الهوية المحلية مع التعبير الفني.

ويبقى أيضاً ديوان "غرداية" للشاعر عثمان لوصيف مجالا مفتوحاً لدراسات أخرى، تقلب أوجهه المختلفة الأخرى للبحث فيه عن أبعاد فنية وجمالية جديدة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائر أنموذجا –1925 –1962، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.
- أحمد قيطون، الرمز التراثي في الشعر الجزائري المعاصر، إصدار مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، ادار الرمال، الوادي، ط1، 2016.
- أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق سوريا، ط1، 2009.
- أحمد يوسف، شعرية الغياب وجمالية الفراغ الباني، مجلة تجليات الحداثة، يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، ع4، يونيو 1996.
- الأمين سويقات، مواويل الشوق والأمل (ديوان شعر شعبي)، دار هومة، الجزائر، د. ت، د. ط.
- بلقاسم خميلي، روائع الشاعر الشعبي عبد الله التخي بن كريو، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت، د. ط.
- بن لخضر قدور، الدر المنثور من شعر، جمع وتنسيق: الشيخ لعمش حسين وآخرون، دار صبحي للطباعة والنشر والتوزيع، متليلي غارداية، الجزائر، ط1، 2020.
- حبيب مونسي، شعرية المشهد في الإبداع الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- خالد خينش، النص الموازي في رواية العمامة والقبعة البيضاء لصنع الله إبراهيم، مجلة مقاليد، دورية محكمة تعنى بالنقد ومصطلحاته، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ع5، 2013.

- دلالات العنوان في المتن الروائي الجزائري مجلة منتدى الأستاذ، دورية أكاديمية دولية تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة، ع 15، جانفي 2015.
- رابح بن خوية، الشخصيات التراثية في الشعر الإسلامي المعاصر آليات الاستدعاء ودلالات الاستحضار، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مجلة محكمة تصدرها كلية الآداب والحضارة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية قسنطينة الجزائر، ع14، جانفي 2013.
- رزيقة بوشلقية، التشكيل الفني في الشعر النسائي الجزائري المعاصر، دار النشر ميم، الجزائر، ط1، 2015.
- زهيرة بولفوس، تجليات الحداثة في مواقف النفري ومخاطباته، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، دورية محكمة تصدرها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر، ع 14، جانفي 2013.
- سلاف بوحراثي، التناص وتجليات الأسلوب في رسائل الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، دورية علمية محكمة تصدرها كلية الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة الجزائر، العدد 19، جويلية 2016.
- سليمان بن عمر دواق، نفَحات ولَفحات، (ديوان شعر)، نشر جمعية التراث، القرارة غرداية، الجزائر، د. ط، 2009.
- الشيخ أحمد بن الحرمة البرياني، ديوان شعري 1924/1835م، جمع وتأليف: مطلق عمار بن الحاج سعد، د. د. ن، د. ت. ن، د. ط.
- الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي البكري، ديوان البكري (1986.1901)

- صالح ترشين، أُولْ اِنُو (قصائد بالمزابية مترجمة إلى العربية والفرنسية)، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، د. ت، د. ط.
- صراح سكينة تلمساني، مظاهر الخطاب المضاد في الأشعار الوطنية الجزائرية: إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء أنموذجا أشغال الأناشيد الوطنية ودورها التعبوي خلال الثورة، 15 و16 ماي2013، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ج2.
- طارق ثابث، مقاربات سيميائية للشخصية المدينة –شعر أحمد الطيب معاش أنموذجا، دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع، عنابة الجزائر، ط1، 2014.
- عاشور سرقمة، الراية في سيميائيات الطقس الديني: فنتازيا العلامة (مقال)، مجلة أيقونات، مجلة رقمية
- عاشور فني، الشخصيات في ديوان زهرة الدنيا للشاعر السعيد بوطاجين، مجلة آمال، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، ع 63، شتاء 1995.
- عبد الرحمن بن سانية، حبو على أعتاب مملكة الشعر... (مجموعة شعرية)، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي غارداية، الجزائر، ط1، 2012.
- عبد العزيز بومسهولي، الشعر الوجود والزمان رؤية فلسفية للشعر، دار إفريقيا الشرق المغرب، ط1، 2002، ص:25 نقلا عن عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التحويل: قراءة في الشعر المغاربي المعاصر، م. س.
- عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، دار الغرب، وهران الجزائر، 2013، ص123 نقلا عن محمد الأمين شيخة، عتبات الولوج إلى أساليب النص الشعري الحديث، مجلة الناص، علمية محكمة تصدر عن قسم اللغة العربية والأدب العربي بجامعة جيجل، ع8، مارس 2008.

- عبد الوهاب حمو فخار، دموع الفرح (شعر أمازيغي مترجم إلى العربية)، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2007.
- عثمان رواق، التناص التاريخي في الرواية الجزائرية (بين الرؤية التقديسية وإعادة القراءة)، مجلة منتدى الأستاذ، دورية أكاديمية دولية محكمة تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة، ع14، جانفي 2014.
- عثمان لوصيف، غرداية، (ديوان شعري)، دار هومة للنشر، الجزائر العاصمة، 1997، د. ط.
- عزة شبل محمد، علم لغة النص –النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب القاهرة، ط2، السنة 2009، ص:76 نقلا عن سلاف بوحراثي، التناص وتجليات الأسلوب، م. س.
- عماد حسيب محمد، بئار النص قراءات تفكيكية في الشعر الحداثي، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، القاهرة، ط1، سنة 2009.
- عمر بن الحاج عيسى بن بلعيد البرياني1880–1947م، ديوان الغريب (شعر ملحون)، دراسة وتح: يحي بن بهون حاج امحمد، العالمية للطباعة والخدمات، 2010.
- عمر بن باحمد هيبة، عن بلاد المجد والشمس، مطبعة الآفاق، غرداية الجزائر، د. ت، د. ط.
- عيساني بلقاسم، آسيا جبار بين التناص والعلاقات السيميائية، أشغال الملتقى العالمي حول تجربة الكتابة لدى آسيا جبار، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة تيزي وزو، دار الأمل تيزي وزو، 2015.
- كلود عبيد، جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر، دار النشر المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 2011.

- لندة لبنى، قيمة العنوان في العمل الأدبي: الزمن الأخضر لأبي القاسم سعد الله أنموذجا، مجلة الناص، مجلة علمية محكمة، منشورات جامعة جيجل، ع 15، جوان 2014.

محكمة تعنى بنشر البحوث السيميائية، منشورات مجموعة "سيما" للبحوث السيميائية، سيدي بلعباس الجزائر، ع2، 2011.

- محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، م. س.
- محمد بن عبد الله منور، استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث، النادي الأدبي الرياض، ط1، 2007، ص: 18 نقلا عن: رابح بن خوية، الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر، م. س.
- محمد بوعزة، من النص إلى العنوان، مجلة علامات في النقد، منشورات النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج14، ج53، سبتمبر 2004.
- مسعود بالحاج خرازي، لا تثريب عليكم (شعر)، مطبعة الإحسان، غرداية، الجزائر، د. ت، د. ط.
- مصطفى أحمد قنبر، الإهداء دراسة في خطاب العتبات النصية، المركز الديموقراطي، برلين ألمانيا، ط1، سنة 2020.
- مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر.
- نبيل علي حسين، التناص في شعر النقائض (دراسة تطبيقية في شعر شعراء النقائض جرير والفرزدق وجرير والأخطل)، دار كنوز، عمان الأردن، ط1، السنة 2010، ص:40 نقلا عن سلاف بوحراثي، التناص وتجليات الأسلوب، م. س.

- وجدان الصائغ بعنوان "القصيدة الأنثوية العربية: قراءة في الأنساق، وزارة الثقافة، صنعاء اليمن، 2005.
- يوسف وغليسي، خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري ومعجم لأعلامه، منشورات محافظة المهرجان الثقافي الوطني للشعر النسوي قسنطينة، 2008.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
الشكر والتقدير	
الملخص	
مقدمة	أ_ج
تمهيد	06
المبحث الأول: غرداية المدينة في الشعر الجزائري	11
المطلب الأول: غرداية في الشعر الفصيح	11
المطلب الثاني: غرداية في الشّعر الشَّعبي الملحون	18
المطلب الثالث: غرداية في الشعر البربري (المزابي)	21
المبحث الثاني: جماليات المكان من خلال العتبات النصية في ديوان غرداية لعثمان لوصيف	27
المطلب الأول: جماليات المكان من خلال عتبة الغلاف	28
المطلب الثاني: جماليات المكان من خلال عتبة العنوان	30
المطلب الثالث: جماليات المكان من خلال عتبة الإهداء	33
المبحث الثالث: التشكيل الجمالي والدلالي للمكان في ديوان غرداية لعثمان لوصيف	42
المطلب الأول: تأنيث المكان (الحديث عن المدينة كأنثى)	42

المطلب الثاني: البعد الروحي والتجليات الصوفية العرفانية في ديوان غرداية	47
المطلب الثالث: المكان وجماليات التناص	50
الخاتمة	64
قائمة المصادر والمراجع	69
فهرس المحتويات	76